ترجمة قسم من كتاب " جورج مونان"، "اللسانيات في القرن العشرين" من البداية إلى الصفحة السادسة والتسعين

Livre

0 وُجْهَة نَظَر

السعدي, شكري. 070 | المهيري, عبد القادر (1934-). 727

Edité par كلية الآداب. تونس - 1992

نسخة واحدة متوفرة

DESCRIPTION

Mémoire de recherche	شهادة كفاءة في البحث : آداب : تونس، كلية الآداب : 1992
Type de document	Livre
Description physique	117 ; 29 سم
Date de publication	1992
Cotes	A-4-5300
Sections	Aucune valeur

أين يمكن ايجاده

حسابي

.Pour réserver un exemplaire, il est nécessaire d'être authentifié. Les réservations dépendent de votre abonnement en cours

1992 - LIVRE - ترجمة قسم من كتاب " جورج مونان"، "اللسانيات في القرن العشرين" من البداية إلى الصفحة السادسة والتسعين

الموقع	رمز الترفيف	الوضيعة
Bibliothèque Nationale de Tunisie	A-4-5300	متاح, STACKS

اقتراحات

Du même auteur

مقولة الحدث الدلالية في التفكير اللغوي

| السعدي, شكري. 070 , 2013

A-8-223658

A-8-229261

السيميائية

| قريماس, ألجيرداس جوليان. 070 , 2020

A-8-309428

A-8-309427

قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة

| السعدي, شكري. 070 , 2016

A-8-232749

A-8-232750

ترجمة قسم من كتاب " جورج مونان"، "اللسانيات في القرن العشرين" من البداية إلى الصفحة السادسة والتسعين

0 وُجْهَة نَظَر

Livre

السعدي, شكري, 070 | المهيري, عبد القادر (1934-), 727

Edité par كلية الآداب. تونس - 1992

نسخة واحدة متوفرة

DESCRIPTION

Mémoire de recherche	شهادة كفاءة في البحث : آداب : تونس، كلية الآداب : 1992
Type de document	Livre
Description physique	117 ; 29 سم
Date de publication	1992
Cotes	A-4-5300
Sections	Aucune valeur

أين يمكن ايجاده

حسابي

.Pour réserver un exemplaire, il est nécessaire d'être authentifié. Les réservations dépendent de votre abonnement en cours

LIVRE - 1992 - ترجمة قسم من كتاب " جورج مونان"، "اللسانيات في القرن العشرين" من البداية إلى الصفحة السادسة والتسعين

الموقع	رمز الترفيف	الوضيعة
Bibliothèque Nationale de Tunisie	A-4-5300	متاح, STACKS

اقتراحات

Du même auteur

مقولة الحدث الدلالية في التفكير اللغوي
| السعدي, شكري. 070 , 2013
A-8-223658
A-8-229261

السيميائية
| قريماس, ألجيرداس جوليان. 070 , 2020
A-8-309428
A-8-309427

قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة
| السعدي, شكري. 070 , 2016
A-8-232749
A-8-232750

الجامعة التونسيّة
كلية الآداب بمنوبة
قسم اللغة والآداب والحضارة العربيّة

شهادة الكفاءة في البحث

ترجمة قسم من كتاب "جورج مونان "
"اللّسانيات في القرن العشرين"
(من البداية إلى الصفحة السادسة والتسعين)

إعداد:
الطالب شكري السّعدي

إشراف:
الأستاذ عبد القادر المهيري

السنة الجامعية: 1991-1992

تقديم

تستمدّ هذه التّرجمة لفصول من مصنّف جورج مونان "اللّسانيّات في القرن العشرين" تبريرها من حوافز شتّى هي من ضربين عامّ وخاصّ :

فمن البواعث العامّة أنّ ترجمة تنجز في حقل اللّسانيّات هي عمل مبرّر بوضع الثّقافة العربيّة التي لا تزال في طور التّقبّل والاستيعاب لا سيّما إذا تعلّق الأمر بعلم مستنبط النّشأة مثل علم اللّسانيّات. فمن البديهيّ حينئذ أن تكون ترجمة أمّهات الكتب في هذا الفنّ أمرا سابقا، من جهة الاعتبار والتّقدير، لعمليّة التّأليف فيه. أضف إلى ذلك أنّا - نحن العرب -، في حاصل أمرنا، مقصّرون في العناية بصناعة التّرجمة في جنب ما تحيطه بها الأمم الأخرى من قيام عليها ورعاية لها. وحسبك شاهدا على ذلك أنّ قرآن اللّسانيّات الحديثة ونقصد به مصنّف سوسّير "دروس في اللّسانيّات العامّة" المنشور سنة 1916 قد ترجمه اليابانيّون إلى لسانهم سنة 1928 (*) ولم يجد إلى قرّاء العربيّة سبيلا إلاّ سنة 1985. وقد ترتّب على وضع التّقبّل هذا جملة من القضايا في علاقتنا بالمعارف الوافدة لعلّ أبرزها معضلة المصطلح بما يعتور استعماله من تقلّب واضطراب، فلعلّ هذا العمل أن يكون معزّزا للجهود العربيّة في قضية المصطلح اللّسانيّ ولا سيّما جهود المدرسة التونسيّة: ذلك أنّ من أسباب استقرار المصطلح وشيوعه بين أهل الاختصاص كثرة تداوله وإنّ استعماله في التّصنيف والتّرجمة لهو من أيسر السّبل إلى تحقيق هذا التّداول.

أمّا الأسباب الخاصّة الباعثة على إنجاز هذا العمل فمنها ما يتّصل بمؤلّف الكتاب وهو رجل طويل الباع واسع الذّراع في فنّ اللسانيّات، عرف بقصده إلى التّيسير في عرض مبادئ العلم للرّيّضين من المريدين. وهو بعد

(*) حسب ما يذكره معرّبو الكتاب في توطئتهم.

ذلك من المؤمنين بفكرة التدرّج في نشأة العلم إذ يصرّح بهذا الأمر في المدخل مؤكّدا أنّ القدر الذي يتأسّس به العلم على التّراكم يفوق درجة قيامه على القطيعة. وفي ضوء هذا الرّأي ندرك وجه علاقة هذا المصنّف بسابقه أعني "تاريخ اللّسانيّات منذ نشأتها إلى سنة 1900". فيكون مصنّف "اللّسانيّات في القرن العشرين" جزءا من مشروع أكبر غايته رصد مسيرة التفكير اللّسانيّ في مراحلها الكبرى. وهذا الأمر يتيح لنا التماس تبرير لهذه التّرجمة في طبيعة الكتاب نفسه : ذلك أنّ مدار دراسة اللّسانيّات على مستويين لا يقل الواحد منهما عن الآخر خطرا لشدّة اقتضاء ثقافة اللّسانيّ لهما مجتمعين. فأوّلهما مستوى داخليّ تدرس فيه تقنيّات العلم ومفاهيمه الإجرائيّة التي يباشر بها الظّواهر اللّغويّة في مختلف نظمها الصّوتميّة والمعجميّة والصّيغميّة والتّركيبيّة، وثانيهما مستوى خارجيّ يؤرّخ فيه للعلم وتدرس فيه أصوله فيسلّط فيه الضّوء على نشأة مفاهيمه الكبرى وضوابطه المنهاجيّة ومثله النّظريّة في علاقتها بالشروط الاجتماعيّة والنّفسيّة التي أنتجتها والحوض المعرفيّ والإيديولوجيّ الذي نشأت فيه. وهذا المستوى الثّاني هو الذي يسم عمل "جورج مونان" ومنه تستمدّ هذه التّرجمة بعضا من تبريرها خصوصا إذا علمنا أنّ حقّ هذا الجانب قد بخس فيما أنجز من ترجمات قياسا إلى حظّ المستوى الأوّل منها. زد على ذلك أنّ الكتاب قد جمع إلى روح البحث الابستيمولوجيّ روحا أخرى لصيقة بها هي الرّوح الفيلولوجيّة القائمة على تحقيق النّصوص ومقابلة بعضها ببعض وذلك في معرض تناوله لمصنّف سوسّير "دروس في اللّسانيّات العامّة" بالنّظر في كيفيّة وضعه والتّساؤل عن مدى صحّة ما بلغنا منه مضمونا وشكلا؛ وهو إلى كلّ ذلك كتاب يقوم على نقد المصنّفات التي سبقته في هذا المجال ويزعم أنّه يخرج فوقها.

بيد أنّ فنّ التّرجمة لا يتهيّأ لمن تصدّى له دون عوائق وصعوبات معترضة منها ما يتعلّق بظاهرة الترجمة عامّة من حيث هي مظهر من مظاهر ازدواج اللّسان يقتضي أن يعدل المستعمل للسانين عن معايير كلّ واحد منهما لأنّ التّرجمان "متى وجدناه أيضا قد تكلّم بلسانين علمنا أنّه قد أدخل الضّيم

عليهما لأنّ كلّ واحدة من اللّغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها" (*). ولمّا كان الخلاص من العدول عن المعيار أمرا تكاد تختصّ به "القلّة من النّاس" (**) فإنّ النّاظر في هذا العمل لن يعدم عدولا عن جهة المعيار العربيّ في بعض المواضع وهو أمر قد يمليه عسر الجملة وتعقّد التّركيب في النّصّ الفرنسيّ؛ على أنّا حاولنا، من حيث المبدأ العامّ، العمل بما يستلزمه تعريف "نيدا" للتّرجمة وصورته أنّ "التّرجمة تقوم على إنشاء المعادل الطّبيعيّ الأقرب لرسالة اللّسان المنطلق في اللّسان المنقول إليه وذلك باعتبار الدّلالة أوّلا ثم باعتبار الأسلوب بعد ذلك" (***). ومن هذه الصعوبات ما مرّ بنا ذكره من أمر المصطلح. غير أنّه ينبغي الإقرار بادئ ذي بدء أنّ ما بذل من جهود في هذا المضمار قد يسّر عملنا تيسيرا كبيرا وكفانا عناء الاستنباط في مواطن كثيرة. وكأنّ هذه الجهود قد اتّبعت مسار القانون الذي انتزعه الأستاذ عبد السلام المسدّي انتزاعا حسنا (****) في رصده لمراحل ترقّي المصطلح من مرتبة التّقبّل وفيها يستوعب اللّسان المصطلح الوافد دالاّ ومدلولا، إلى مرتبة التّفجير وفيها ينفصل الدّال عن المدلول فيطّرح الأوّل ويحتفظ بالثّاني ليمحّض له دالّ من صميم اللّسان المتقبّل ذاته يكون على قدر من التّفكّك والتّحلّل وذلك قبل بلوغ مرتبته النّهائيّة وهي مرتبة التجريد التي يستغنى فيها عن العبارة التّحليليّة بكلمة تأليفيّة جامعة. بيد أنّ منعم النّظر في هذا القانون يتبيّن أنّه قانون يكاد يكون نوعيًا يختصّ بالعربيّة وما في مرتبتها من الألسنة التي هي في وضع تقبّل واستهلاك للمعرفة كما يتبيّن أنّه قانون مبطل لنفسه ذلك أنّ الوعي بهذا القانون يفسده إذ يمكّن من تجاوزه بطيّ مراحله والاتّجاه إلى مرحلة التّجريد رأسا ممّا يجعله قانونا محدودا في الزّمان: أعني اختصاصه بمرحلة معلومة من مراحل تعامل العرب مع المصطلح. ولعلّ سمة النّقض الذّاتيّ في هذا القانون هي التي جعلت من مصطلح

(*) الجاحظ الحيوان - ج 1 - ص 76 -.

(**) مارتيناي : "انتشار اللّغة" ص. 7 (عن مونان : "مشاكل"...).

(***) نيدا : "مبادئ الترجمة" ص 19 (عن مونان : "مشاكل"...).

(****) انظر مقدّمة "قاموس اللّسانيّات" ص : 49-50-51-52-53.

"سيميائيّات"، مثلا، يسلك إلى مرتبة التّجريد والتأليف سبيلا أقصر من تلك التي سلكها صنوه مصطلح "لسانيّات" بعد أن أفاد من مسلكه وتجنّب كثيرا من منعرجاته؛فسمة النّقض هذه هي التي تيسّر عمل المترجم وواضع المصطلحات من حيث أنّها تمكّن من صياغة المصطلح النّاجم على مثال مصطلح نظير له كان قد سلك الملاوي إلى التبلور النّهائيّ. فكان أكثر اعتمادنا في مجابهة المعضلة المصطلحيّة على ما شاع من مصطلحات ابتكرها روّاد المدرسة اللّسانيّة التّونسيّة. وقد استلهمنا في استخدامها مفهوما من أعظم المكتسبات المنهاجيّة اللّسانيّة خطرا، قوامه رؤية بنيويّة تتعالق في ضوئها وحدات الجهاز المصطلحيّ تعالقا لا يكتسب فيه المصطلح دلالته في حدّ ذاته أي بتعريفه تعريفا إيجابيّا وإنّما يكتسب هذه الدّلالة بتعريفه تعريفا سلبيّا أي بما ليس هو وذلك بمقابلته بالمصطلحات الأخرى المتعلّقة به؛ فينشأ عن ذلك نظام يستقلّ فيه كل مدلول بدالّ محدّد لا يشاركه فيه غيره وينتفي معه الالتباس المؤدّي إلى الغلط. بيد أن هذا الاعتبار يبقى نظريّا إلى حدّ ما، إذ يعسر من الناحية العمليّة أن ينفرد كلّ مسمّى باسم خاصّ، لأنّ الألسنة البشريّة لا يخلو حالها من ظاهرتي التّرادف (اشتراك دالّين فأكثر في مدلول) والاشتراك (اجتماع مدلولين فما فوق في دالّ). وهو أمر لا نعدمه في التّرجمة، فقد يضطرّ اللّسان المنقول إليه إلى تعيين مفهومين متميّزين بمسمّى واحد إمّا لمحدوديّة قدرته على توليد دالّ من الدّوالّ في مجال محدّد أو لعسر اندراج الدّال الذي يستحدثه في الاستعمال. وعلى هذا النحو فقد ألجئنا إلى ترجمة مصطلحين متميّزين هما "sigle" و "symbole" بمصطلح واحد هو "رمز" (لأنّ مصطلح "فاتحة" مثلا، وهو ما اقترحه "قاموس اللّسانيات" مقابلا لمصطلح "sigle"، يكاد ينبو عنه الاستعمال). وكذلك كان شأننا مع المصطلحات التي تكاد تكون مترادفة فلم نمحّض لكل واحد منها مقابلا عربيّا خاصّا به عندما لا يترتّب على استعمال مقابل واحد لترجمة المصطلحات المترادفة لبس أو خلل. وعلى هذا النحو ترجمنا مصطلحي "locuteur" و "sujet parlant" بمصطلح "متكلّم" (لأنّ تخصيص مصطلح "متحدّث" مثلا لترجمة "locuteur" لا يبدو

وظيفيًا في نظر القارئ العربيّ). زد على ذلك أنّ كثرة المصطلحات المترادفة في الألسنة الأعجميّة لا تعدو أن تكون، في بعض الأحيان، ضربا من التقعّر وميلا إلى إظهار الطّرافة والتميّز. وبضدّ ذلك فإنّ اللّسان المنقول إليه ربّما اضطرّ إلى ترجمة المصطلح الواحد بصيغتين مختلفين باعتبار خصوصيّات كل لسان واختلاف الألسنة في تقطيع التجربة البشريّة : فالمدلولات التي يجمعها لسان ما في دالّ واحد يمكن أن يفصل بينها لسان آخر بدوالّ متميّزة. فمن ثم عملنا في ترجمة مصطلح "linguistique" في صيغته النعتيّة، مثلا، بما نبّه إليه "قاموس اللّسانيّات"، في مقدّمته، من ضرورة تمييز الحالة التي ينسب فيها هذا المصطلح إلى المبحث العلميّ الذي هو اللّسانيّات (لسانيّ) من الحالة التي ينسب فيها إلى اللّغة باعتبارها ظاهرة (لغويّ). وكان رائدنا في اختيار المصطلحات البعد، كلّما تأتّى لنا ذلك، عن أيسر السّبل أي التعريب المباشر؛ وتجنّب النّحت، إذ لم يكن في عرف أهل النظر من الخواصّ المخصوصة بالعربيّة وآثرنا الاعتماد بدلا منهما على ما وضع بطريقتي الاشتقاق والمجاز. فلم نلجأ إلى التعريب المباشر إلاّ عند الضرورات التي يقتضيها الاستعمال (على هذا النحو أعرضنا عن مصطلح "أصوليّة"، مثلا، ترجمة لمصطلح "épistémologie" لأنّ الاستعمال كرّس لهذا المقابل المقترح معنى لا يلائم دلالة المصطلح الأعجميّ على مبحث معرفيّ)، أو تلك التي يقتضيها التّفريق (عرّبنا كلمة "psychologique" تعريبا مباشرا لتمييزها من كلمة "نفسيّ" التي ترجمنا بها "psychique"). ولم نعتمد النّحت إلاّ لضرورة رفع اللّبس (لم نترجم مثلا النعت الفرنسيّ "amérindien" "بالهندي الأمريكيّ" دفعا لما يمكن أن يتبادر إلى الذّهن من قرابة بين أسرة الألسنة الأمرنديّة وأسرة الألسنة الهنديّة الأوروبيّة). وكلّما أعيتنا الحيلة عمدنا إلى استنباط مصطلحات قياسا على أخرى متداولة : وعلى هذا النّحو وضعنا مصطلح "نفسانيّة" ترجمة لمصطلح "psychologisme" قياسا على مصطلح "تاريخانيّة" وهو مقابل رائج يترجم مصطلح "historicisme".

وقد جمعنا هذه المصطلحات في ثبت ذيّلنا به هذه الترجمة فكانت أكثر موادّه من المصطلحات اللّسانيّة، غير أنّه لمّا كانت سمة العلوم في عصرنا هي التداخل والتّشابك فإن هذا الثبت لم يخل من مصطلحات تنتمي في الأصل إلى فضاءات معرفيّة أخرى متاخمة للّسانيّات. ولعلّ أكثر المصطلحات غير اللّسانيّة التي حواها هذا الثّبت له صلة بفلسفة العلم بحكم مهجة الكتاب. على أن المرء ربّما صادف في هذا الثّبت المصطلحيّ ما ليس من المصطلحات أصلا، تعمدنا إثباته، رغم ذلك، لعدم إلف الاستعمال له. فأثبتنا مثلا كلمة "مجرى" ترجمة لكلمة " fonctionnement" لقلّة تداولها بهذا المعنى في المصنّفات العربيّة. وقد طرحنا من هذا الثبت المصطلحات اللّسانيّة التي لا منازعة فيها من قبيل مصطلح "فعل" الذي يترجم مصطلح "verbe" الأعجميّ كما طرحنا الكلمات المستعملة بالمعنى العادي لا بالمعنى الاصطلاحيّ الدقيق مثل كلمة "شرح" التي تترجم الكلمة الأعجميّة "commentaire".

وقفّينا هذا الثّبت بقائمة تحوي أسماء الأعلام الأعجميّة من الرّجال الوارد ذكرهم في هذه الترجمة،فأثبتنا الاسم بالحروف اللاّتينيّة تلقاء الاسم نفسه مكتوبا بالحروف العربيّة لأنّ القارئ العربيّ ربّما استغرب الصّور التي ترد عليها بعض أسماء الأعلام الأعجميّة مكتوبة بحروف لسانه. كما صدّرنا التّرجمة بقائمة العلامات الصّوتيّة المستعملة في ثناياها مع إحالة على قيمة كلّ واحدة من هذا العلامات معتمدين في ذلك على "قاموس اللّسانيات" الذي أشرف عليه "جان دي بوا" وقائمة الرّموز الصّوتيّة التي صدّر بها معرّبو "دروس" سوسّير عملهم. وقد سعينا إلى إنارة النّصّ المترجم تذليلا لما قد يبدو معتاصا منه وذلك إمّا بالإحالة على أمثلة مستمدّة من العربيّة أو بالاستشهاد الميسّر للفهم.

بيد أنّ صناعة التّرجمة، مهما استحكمت، تظلّ عملا منقوصا يستدعي المراجعة ويستوجب إعادة النّظر فهي، شأنها في ذلك شأن كلّ قراءة

وتأويل، أرب لا يدرك جملة واحدة على نحو باتّ، وإنّما يكون بلوغه بالتّدريج والتّلطف إبّان كلّ ملابسة للنّص المترجم. إذ التّرجمة "عمليّة نسبيّة فيما تحقّقه من نجاح متغيّرة فيما تبلغه من مستويات التّواصل" (*).

(*) جورج مونان : "مشاكل نظريّة في الترجمة" ص 278.

الاختصارات والرّموز

- ص : صفحة

- م : ملاحظة (note)

- adjectif = (adj)

- nom = (n.)

- nom d'action = (n.a)

- substantif (sub.)

- [ ] : إضافة من المؤلّف إلى نصّ مستشهد به.

- < > : إضافة إلى النّصّ الفرنسيّ.

- الرّقم في الهامش ((1)، (2)...) : ملاحظات المؤلّف.

- النّجم في الهامش ((*)، (**)...) : تعليق على النّصّ الفرنسيّ.

- الحروف المائلة تقابل حروفا طليانيّة في النّصّ الفرنسيّ.

قائمة العلامات الصّوتيّة

العلامة		قيمتهـــا الصّوتيّـــة
ت	t	تاء
د	d	دال
ذ	ð	ذال
، ي	t‘	تاء مليّنة قريبة من تلك التي في كلمة "tien" الفرنسيّة
ك	k	كاف
ـ	g	قاف = كاف مجهورة
س	s	سين
ز	z	زاي
ش	š	شين
ج	ž	جيم (تونسيّة) شديدة التعطيش = شين مجهورة
ش	č	صوت مركّب من التّاء والشين قريب ممّا في كلمة "تشيكوسلوفاكيا"
، ي	ś	شين مليّنة (بولونيّة) قريبة ممّا في كلمة "chien" الفرنسيّة
ي	j	ياء
ـِ	i	كسرة
ـُ	u	ضمّة
ـَ	a	فتحة
	o	ضمة منغلقة كما في كلمة "dos" الفرنسيّة.
	ɔ	ضمّة منفتحة كما في كلمة "mort" الفرنسيّة
	e	فتحة ممالة كما في كلمة "blé" الفرنسيّة
	ɛ	صائت أمامي نصف منفتح كما في كلمة "mer" الفرنسيّة.

مدخـــــل

لقد تساءل بعض القراء عن التّاريخ الذي قد يحصلون فيه على المجلّد الثاني من هذا المجمل في تاريخ اللّسانيّات، وذلك منذ صدور المجلّد الأوّل (*). وإنّ من حقّهم أن أشرح لهم في كلمة الأسباب التي من أجلها تأخّرت عن الاستجابة لهم. فقد تردّدت كثيرا لأنّ عددا من الأعمال الجيّدة في التّأريخ للّسانيّات قد ظهر أو ترجم منذ سنة 1966، وهو ما كان يفي بحاجتنا في هذا الغرض لا سيّما فيما يخص مذاهب القرن العشرين. فلم نكرّر بلا طائل ما وصفه "لا بسكي" و "ما لمبيرغ" من نظريّات ؟ ثمّ إنّه لا جدوى من السّعي إلى منافسة "لا بسكي" أو "دي مورو" أو "ميلكا إيفيتش" أو "روبنز" أو حتّى "لوروا" الدّائم الإصابة رغم أنّه أكثر اقتصادا في خصوص وفرة قوائم المراجع فرأيت في أوّل الأمر أنّه لم يكن، على كلّ حال، ما يدعو إلى العجلة.

وإن أنا عقدت العزم أخيرا على إضافة مجلّد إلى هذه التي توجد في قائمة مراجع الفصل الحاليّ، وهي كتب أقرّ بفضلها جميعا وأدين لكلّ واحد منها بدين ماوأقلّه الاستفادة من ظاهرة أو مصدر أو وجهة نظر أو منطلق - فليس عزمي على ذلك بسبب قيمة محتواها وإنّما لبعض النّقص فيها. فقد بدالي أنّ منهجها نفسه يفضي بطرق متفاوتة إلى القيام بجرد للمذاهب، بل إنّه يفضي إلى تقديم قائمة بيانيّة عن المؤلّفين أكثر من أيّ شيء آخر. ولا ريب أنّ هذا الأمر كان ضروريّا في البداية ولكنّه / كان يجنح بأهله إلى تقديم أعمال هي إلى قوائم الأحداث المتسلسلة أقرب منها إلى التّأريخ للّسانيّات؛ وقد يستثنى من ذلك ما نلفيه لدى "روبنز" الذي يحاول، في نظرة عاجلة وإن كانت لا تخلو في كلّ مرّة من معنى، رسم إطار ما قد يكون كيّف أو ما لا بدّ أنّه كيّف

(*) المجلّد الأول : كتاب جورج مونان : "تاريخ اللّسانيّات منذ نشأتها إلى سنة 1900". والكتاب الذي بين أيدينا تتمّة له.

بالفعل هذا التيّار اللّسانيّ أو ذاك من عوامل تاريخيّة حقيقيّة بالمعنى الواسع. والخطر المحسوس عند "ميلكا إيفيتش" والأقلّ جلاء عند الآخرين وإن كان ملموسا إنّما هو ضرب من تفتيت التاريخ، بل هو ضرب من بعثرة أسماء الأعلام.

زد على ذلك، وأخشى أن أبدو مغربا في رأيي وأنا أقرّ به، أنّ البحث الملحّ عن موضوعيّة وصفيّة في تقديم المذاهب والنّصيب المحتشم المخصّص لمناقشة هذه المذاهب أو نقدها يؤدّيان بلا شكّ، حسب رأيي على الأقلّ، إلى نوع من الحياد الذي يبلغ حدّ الانتقائيّة بل حدّ التلفيقيّة في بعض الحالات.

لقد اتّخذت وجهة مقابلة لوجهة من سبقوني (دون ميل إلى مناقضتهم) يبعثني على ذلك، بدون شكّ، مزاج المدرّس - الذي يحتم عليه تدريسه أن يختار بعض المذاهب ومن ثمّ أن ينقدها - أكثر ممّا تحدوني مشاغل المؤرّخ. وقد أغفلت بعض الإغفال وصف التّقنيات المفصّل، وهو وصف قد أجيد تقديمه في مواضع أخرى، حتّى أسعى إلى إجمال القول، على الأقلّ، في انتظام النّظريّات الابستيمولوجيّ. ومن البديهيّ أنّي لم أحاول أن أحذو في هذا الأمر حذو مؤلّفين من طراز "الإسكندر كويري" أو "ألتوسير"، فإنّ كلّ واحد من اللّسانيّين المدروسين قد يقتضي منّا عندئذ أن نخصّه بمجلّد من ستّمائة صفحة. لذلك فإنّ استعمال كلمة *ابستيمولوجيا* يتجاوز هذا المقام. وقد سعيت باعتباري لسانيًا إلى بيان الكيفيّة التي واجه بها كلّ واحد من كبار اللّسانيّين مشكل شروط إمكان المعرفة اللّسانيّة. وسعيت كذلك (مستلهما ممّا أحسبني تعلّمته من "ماركس" ومن "باشلار") إلى الإشارة إلى ما قال عنه "كانغيلم" إنّه "تاريخ تكوين المتصوّرات العلميّة وتشوّهها وتصويبها" وذلك عندما كان يعنّ لي أنّي أتبيّن هذا التّاريخ. / وجازفت بالشّروع في "طلب قوانين الإنتاج العلميّ الحقيقيّة" على نحو ما يقترحه "كانغيلم" أيضا. وليس *الشّروع* و *الإشارة* و *المجازفة* و *المحاولة* كلمات يقصد منها استمالة القارئ

ولكنّها الحقّ عينه : فقبل التّفكير في منافسة مؤلّف مثل "مارسيال غورو" ولعلّه الأوّل الذي وصف بنية ("أي نسق الأسباب") نظريّة فلسفيّة (1)، ينبغي على مؤرّخ اللّسانيّات أن يأخذ بناصية فنّيه هذين.

لا شكّ أنّه من اليسير كلّ اليسر أن نستنسخ اليوم بلاغة "باشلار" أو "ألتوسير" للإيهام "بخطاب ابستيمولوجيّ" كما يقال منذ مدّة وجيزة. وإنّ استخدام كلمتي *"إيديولوجيا"* و *"علميّة"* (*) استخداما مفرطا لا يكفي لتحقيق الابستيمولوجيا الصّحيحة.ثمّ إنّ مفهوم *القطيعة الابستيمولوجيّة* نفسه يوشك أن يصير من المبتذلات التي يردّدها المقلّدون إن نحن عثرنا عليه في كلّ موضع، وإن هو انتهى بنا إلى نفي ضدّه نفيا لا جدليّا : أعني مفهوم الاستمرار مع ثبوته ثبوتا لا شك فيه. لذلك سعيت إلى الإشارة إلى مواطن الانفصال في التّاريخ ولكن إلى مواضع التّرابط فيه أيضا على نحو ما صنعت في المجلّد الأوّل. ولست أدرك العلّة التي توجب على ابستيمولوجيا هذا العصر إنكار هذه الحقيقة حتّى تكون ثوريّة، فإنّ إنكار ما تتّسم به المعرفة غالبا من ظاهرة التّراكم يبدو لي، على وجه اليقين، انحيازا إيديولوجيّا جديدا : ذلك أنّه يوجد روّاد حقيقيّون.

إنّ ما نحتاج إليه أوّلا ودائما في هذا المقام هو معطيات مأخوذة من مظانّها وتحليل لهذه المعطيات في كلّيتها وليس قراءات من الدّرجة الثّانيةأو أبنية واهية تتمّ على حساب ما يتجاهل من المعطيات (عندما يقطع فيلسوف ما، مثلا، برأيه في مشكل متّصل بالكتابة الفينيقيّة وذلك في بضعة أسطر بينما لا يزال أشدّ علماء الحفريّات حنكة عاجزا عن القول الفصل في شأنه). ولهذا السّبب عملت دوما في محاولاتي التي تتحسّس طريقها في البحث الابستيمولوجيّ / بما كرّر "مارتيناي" قوله في شأن اللّسانيّات نفسها وهو ما ينبغي على كلّ "منظّر" فرنسيّ المولد أن يتأمّله دون كلال خصوصا في مجال

---

(1) انظر مصنّفه : "ديكارت حسب *نسق الأسباب*". "أوبيي" منشورات"، مونتانيي"، 1953 لا سيّما الصفحات : 10-12 و 19-22.

(*) علميّة : "Scientificité"

التّاريخ حيث يعسر بيان ما هو مفيد، إذ قال :

"لقد أظهرت تجربة ماضية طويلة أنّه ليس بمطالعة بعض الصفحات ولا بدراسة بعض السّاعات يمكن أن تستوعب المبادئ الأساسيّة في الصّوتيّة. وإنّ التّكوين الأدبيّ، الذي هو تكوين اللّسانيّين وحتّى علماء الأجناس عامّة، ليس من شأنه أن يجعل من عمليّة التجريد التي يقوم عليها التحليل الصّوتيّ عملية تنال بأيسر السّبل. ففي فرنسا على وجه الخصوص يهيّىء التّعليم التقليديّ الأذهان أحسن تهيئة لاستعمال التّجريد ولكنّه يعدّها إعداد ضئيلا للعمليّة التجريديّة نفسها، فإنّ كثيرين من أشدّ النّاس ذكاء يلتبس عليهم الأمر عندما يتصدّون لواقع محسوس مغرق في التّعقيد. ولمّا كانوا أرشد من أن ينتخبوا بعض مظاهر هذا الواقع كيفما اتّفق فإنّهم يؤثرون الالتجاء إلى مجال التجريدات التي سبق استنباطها" (ورد هذا الكلام في عمل تروبتسكوي *"مبادىء في الصّوتميّة"*، المقدّمة، ص X-XI).

وقال أيضا في مصنّف *"الفرنسيّة بدون قناع"* (*) (1969) :

"إنّ تعلّم [النحو، إلخ] ينشىء [الفرنسيّ] على الميل إلى التّجريد المجّانيّ [...] ويبعده عن العمليّة التجريديّة نفسها أي الانتقال من المحسوس إلى المجرّد بتطبيق مبدإ الإفادة وهي العمليّة المؤسّسة للعلم" (ص 84).

فكان الحلّ الذي ارتأيته أن أركّز انتباه القارئ على نحو اثني عشر مذهبا من المذاهب الحاليّة الكبرى فحسب، وأن أتغاضى عمّا سوى ذلك إلى حين. وقد يحقّ لسائل أن يسأل عن علّة إغفالي بعض ما أغفلته. والأسباب الدّاعية إلى ذلك شديدة التّنوّع. ولا ريب في أنّها تضمر جميعها حكما تقويميّا وإن تباينت درجات ذلك فيها تباينا شديدا. فلم لم نعرض "لأنطون مارتي" ؟ ذلك لأنّه في نهاية الأمر، ورغم ما في هذا من غرابة، متأخّر بقدر ما هو رائد بل هو متأخّرا أكثر منه رائدا خارج البلاد النّاطقة باللّسان الألمانيّ. (لم يتح لنا أن نكتشف صلة بين الفكر اللّسانيّ الذي كان يدرّسه "ببراغ" قبل سنة 1914 والفكر الذي ازدهر بهذا البلد بعد سنة 1928). ولم أعرضنا عن "بيرس" مع خطورة شأنه / في خصوص نظريّة في العلامات ؟ ذلك لأنّه، بتعبير صريح، هامشي في مجال اللّسانيّات ولأنّ أمره لا يتّضح إلاّ بصورة *ما بعديّة* : فمن المستحيل أن نبيّن هل كان "لسوسّير" و "سابير" و "بلومفيلد" علم بوجوده ؟ ثمّ إنّا ضربنا صفحا كذلك عن ذكر بعض الرّوس لا

(*) "Le français sans fard"

سيّما "شيربا"، ولعلّ "تروبتسكوي" يوضّح أمرهم أكثر ممّا يوضّحونه. ولكن لماذا تشكت عن "غوستاف غيّوم" ؟ ذلك لأنّه فضلا عن انحصار تأثيره الفعليّ في نواة صغيرة من الفرنسيّين لم تؤثّر في لسانيّات القرن العشرين إلاّ قليلا فقد ولّينا عن تحليل فكره المعقّد بل عن تفسيره، وهو فكر لم يعد تناوله بالنّقاش الدّقيق الصّارم من الضّرورات العاجلة، وهو ما يقتضي أكثر من حيّز فصل واحد. بل إنّنا أغفلنا "بنفينيست" : فهو يعتبر مختصّا في الهنديّة الأوروبيّة أكثر منه منظّرا في اللّسانيّات العامّة وهذا مجال حظّ ابتكاره فيه قليل. فقد ترك لوحات مصوّرة للوضع اللّساني وعروضا عامّة على قدر كبير من الوضوح غير أنّها خالية من الجدّة ؛ وترك كذلك بعض الاقترحات التي تغذّيها فلسفة للّغة مغرقة في الاستبطان (1) وأهملنا ذكر "فيرث" وكذلك "غاردينر" الأقدم منه بعض القدم ولا سيّما الأوّل، على طرافته، لأنّهما بقيا معزولين لا يسمع لهما صدى خارج إنقلترا (وهما في ذلك أكثر من "مالينوفسكي"). ولعلّ رجلا مثل "تاسنيار" وهو قليل الحظّ من البروز لأسباب شتّى، جدير،بدون شكّ،بدراسة خاصّة لفرط ما عليه علم التركيب البنيوي عنده من جدّة في عصره. وهذه الدّراسة ليست جاهزة إلاّ أنّنا نأمل أن يقوم بها بعض من هم أكثر منّي كفاية كما نأمل أن تنجر أعمال من شأنها أن تنصف اللّسانيّين الذين أغفلتهم ههنا أكثر ممّا كان يمكن أن أحقّقه.

وجملة القول إنّي حاولت التّخلّص من تقديم اللّوحة (الضروريّة) المبيّنة للنتائج والتقنيّات والإجراءات. / أمّا المؤلّفون الذين اخترت الخوض في شأنهم فإنّي أقصد من حديثي عنهم السّعي إلى الحمل على قراءتهم أكثر من قصدي إلى الحكم لهم أو عليهم - من مشارف معرفتي الحاليّة أو من مشارف مذاهبنا أو حتّى من مشارف مذهب واحد - ذلك أنّي قرأت في البداية ما كتبوا ثمّ كرّرت قراءته وباشرته دون أن أزعم أنّي أتيت على مطالعة ما صنّفوه من كتب جمّة (وقليلون هم الباحثون من أضراب "ألتوسير" "وميشال فوكو" الذين

(1) انظر "ج. مونان" : "تقرير حول مشاكل في اللّسانيات العامّة" الوارد في "اللّسان" (lingua)، المجلّد 18، عدد 4، 1967، ص 412 - 420.

استقصوا فيما يبدو جميع ما يتّصل بموضوع بحثهم). وإنّي رغم ما يلوح في الظّاهر معجب بهم جميعا وإن على وجوه مختلفة. وإنّ الإعجاب ليبدو لي أكثر المشاعر تعطّشا إلى الدّقة وثراء بها. فمن ثمّ لم أحجم البتّة عن الحماسة النّاجمة عن اليقين سلبا أو إيجابا. وقد استبحت ذلك لا سيّما أنّه واكب دائما توفّري على ما يسمّيه علماء الفلك المعامل الشخصيّ (*) الذي يمكّن ممّا يسمّونه أيضا تصحيح الملاحظ. إنّي، وأنا الذي يجمع في نفسه بين الماركسيّ (بلا ادّعاء) والمنتصر المؤمن بمذهب، لم أتكلّف قطّ أن أتّخذ لنفسي موقع الشّعرى (**) للنظر في المذاهب الأخرى، فتلك في رأيي طريقة مناسبة يكون بها المرء موضوعيّا.

وأحبّ أن يسمح لي في هذا المعرض من الكلام أن أنقل تصريح "ريبيكا بوسنر" في شأن *الملحق* (***) الذي وضعته لمصنّف "يوردن - أور" الموسوم "بالمدخل إلى اللّسانيّات الرّومنيّة" وذلك دون ترجمة هذه المرّة لأنّي أخشى فساد جميع ما به قوام النّصّ الإنقليزي وهو نصّ أوافق عليه تمام الموافقة، فقد كتبت تقول :

(****) "The style of presentation I have adopted is largely dictated by the original text I have the honour of supplementing. I shall try to retain some of liveliness and originality of Iordan-Orr's survey by deliberately selecting some

---

(*) "Coefficient personnel"

(**) الشعرى " Sirius" : أشدّ نجوم السّماء تلألؤا وهي من مجموعة الكلب الأكبر.

(***) "Supplement"

(****) "إنّ أسلوب التّقديم الذي اعتمدته يقتضيه، في جانب كبير منه، النّصّ الأصليّ الذي أتشرّف بكتابة ملحقه. وسأسعى إلى المحافظة على شيء من الحيويّة والطّرافة في البحث الجامع الذي أنجزه "يوردن أور" وذلك باختيار بعض المدارس وأئمّة العلم اختيارا مقصودا راكبة في ذلك خطر غبن أهل الفضل من فرسان هذا الميدان الذين قد أذهل عن شأنهم إمّا بالدّراسة العجلى أو بالسّكوت عنهم. وإنّي أشعر أنّ روح التّمذهب عند "يوردن أور" تبرّر إلى حدّ ما دعوته الطّلبة دعوة متواصلة قائلا : إنّي، وإن لم أسع إلى إظهار روح التّمذهب هذه في أيّ حالة من حالات المفاضلة، سأحاول، من باب أولى وأحرى، إبراز الآراء الشّخصيّة وتلك التي هي مثار للجدل بدل / تحويل هذه الاختلافات إلى جملة ائتلافات سطحيّة باهتة. ومن ثمّ فإنّي مجبر على الظّهور بمظهر الغابن لحقّ بعضهم رغم أنّه ينبغي عليّ التّبرّؤ من أيّ قصد إلى الحطّ من كفاية أيّ كان أو أهليّته. إنّ عالم العلماء ليس غريبا عن الجدل الحادّ وإنّ جماعة اللّسانيّين في هذا العالم كثيرا ما تبدو وقد فازت بأكثر من النّصيب الذي يحقّ لها من هذا الجدل. ورغم أنّه كثيرا ما يعبّر عن الاختلاف في أيّامنا هذه، في أمريكا خصوصا، بعبارات مغالية فإنّي أرى في ذلك علامة حياة، وإنّه ينبغي علينا أن ننظر نظرة المحترس المتحفّظ إلى العلامات المنبئة باتّجاه اللّسانيّين إلى مزيد الاتّفاق والإجماع بينهم لا سيّما في نظرتهم إلى واقع معقّد مثل واقع اللّغة التي يمكن النّظر إليها من زوايا عديدة من شأن كل واحدة منها أن تظهر اللّغة في لبوس جديد وقيّم.

(*بعد ثلاثين سنة*، ص : 400)

schools and scholars, at the risk of offending worthy workers in the field who may be passed over quickly or in silence. My feeling is that the partisan spirit of Iordan - Orr partly accounts for its continuing appeal to students : I shall too show, if not partisan spirit, at any rate preference, in that I shall attempt to higlight controversial and personal views rather than / iron out differences to a flat featureless set of 11
compromises. I am bound thus to appear unfair to some, even though I should disclaim any intention of denigrating the competence or integrity of any. The scholarly world is no stranger to bitter controversy, and its linguistic community often appears to have more than its fair share. Even though disagreement is often nowdays, especially in America, expressed in immoderate terms, it is, I feel, a sign of life, and we should view with alarm any signs of a move towards greater conformity among linguists, especially as a complex reality like language can be observed from many angles each of which will reveal it in a new and valuable light".

(Thirty years on, P.400)

إنّ هذا المجلّد شأنه شأن المجلّد الأوّل الذي ظهر سنة 1966 سيكون لأسباب أخرى أقرب إلى المحاولة منه إلى التأريخ للّسانيّات العامّة في القرن العشرين ولعلّ المؤلّف قد تذكّر في هذه المحاولة موقفا مألوفا عند نقدة الشعر وهو أنّ النّقد مجازفة. بيد أنّه كان من الواجب ركوب هذا الخطر حتّى يكون ذلك سبيلا إلى التّفكير.

"ويليام دوايت ويتناي"

15 درس "ويليام دوايت ويتناي" (1827 - 1894) بجامعة "يال" بدءا من سنة 1845، وبعد أن اهتمّ بتحصيل العلوم الطّبيعيّة انصرف عنها إلى السّنسكريتيّة منذ سنة 1848. وقد أتى إلى ألمانيا بين سنتي 1850 و1853 حيث حضر، في "تيبنغن" و"برلين"، دروس "فرانتز بوب" المؤسّس الحقيقيّ لنحو الألسنة الهنديّة الأوروبيّة المقارن. وأصبح، سنة 1854، أستاذا للسّنسكريتيّة "بيال" وفيها تحصّل على كرسيّ النّحو المقارن سنة 1869.

وهو أوّلا وأساسا واحد من خيرة المختصّين في السّنسكريتيّة من أهل عصره. وكانت اهتماماته على غرارهم تتجاوز النّحو المقارن لتشمل ما كان يسميّه "أدولف بيكتيت"، عصرئذ، بالإحاثيّة اللّسانيّة أي الأنثروبولوجيا الممكن استنتاجها من الوثائق الهنديّة الأوروبيّة. فقد كتب مثلا مقالة عنوانها "فلك البروج القمريّ" (*) بمجلّة "*دراسات آسيويّة ولسانيّة*" (**) في شأن المشكل الذي اختلف فيه القول وهو أصل تقسيم الزّمن، وقد استوجب بذلك بعد *مماته* نقدا صارما من "ليوبولد" أخي "سوسّير" (انظر "*أصول علم الفلك الصّيني*"، "ميزونوف"، طبعة سنة 1930، ص 54 - 75). غير أنّه اهتمّ أيضا بالألسنة الحيّة حتّى إنّه كتب نحوا إنقليزيّا للمبتدئين ونشر قواميس في الفرنسيّة والألمانيّة. والأهمّ من ذلك أنّه فكّر في بنى الألسنة الأمرنديّة ولعلّه من أوّل من فعل ذلك من بين المختصّين في النحو المقارن (إذا استثنينا 1 "همبولدت"). ففي مصنّفه "*حياة اللّغة*" (لاحقا : *ح.ل.*) يلاحظ "أنّ فعلا من أفعال لسان "الألغنكيّين" يحيل على طائفة من التّمييزات التي بلغت من الغرابة ما يجعلنا لا نكاد نفهمها إن هي شرحت لنا (ص. 181 ؛ انظر أيضا الصّفحات 177، 214، 215). وقد نشط في إرشاد النّاظر "باول" لإعداد

(*) "Lunar Zodiac"

(**) "Asiatic and Linguistic Studies"

مناهج رسم حروف الألسنة الأمرنديّة. وكان النّاظر "باول" في ثمانينات القرن التاسع عشر على وجه التّقريب يبذل قصارى جهده في إدارة تجميع هذه الألسنة وتبويبها بالولايات المتّحدة ويجتهد في ترقية هذا العمل وتوجيهه.

وإنّ المعطيات والأعمال ما زالت تعوزنا حتّى نحلّ توجّه "ويتناي" العلميّ محلّه من كبرى تيّارات العصر الفكريّة. لقد كان رجلا مكافحا، ذا ذهن ثاقب، ناهض جميع المذاهب الرّائجة على عهده : فقاوم "شليشر" الذي كان يجعل من اللّسانيّات علما طبيعيّا ينطبق عليه المثال الدّاروينيّ، وعارض "ماكس مولّر" الذي كان بارعا في تقريب العلم على نحو سطحيّ في أغلب الأحيان. ولكنّه تصدّى أيضا لما كان متبقّيا من تأثير "همبولدت" ونظريّته التي تعتبر اللّسان فيضا ماورائيّا لعبقريّة الشّعوب والأفراد؛ وكذلك لما بقي من نظريّة "شتاينتال" الذي كان يسعى إلى إنقاذ فكر "همبولدت" بإدراجه في لسانيّات بسيكولوجيّة. ومن جهة أخرى فإنّ "ويتناي" احترس من النّحاة الجدد الذين كانوا يقاومون نفس الخصوم لأسباب أخرى. وبينما لا يضنّ بالإقرار بأنّ "ألمانيا هي مدرسة فقه اللّغة المقارن"، يضيف إلى ذلك قوله : "إنّ علماء هذا البلد أقلّ تميّزا فيما سمّيناه علوم اللّغة. وإنّ لعندهم (مثلما عند غيرهم تماما) من اختلاط الآراء في مسائل شديدة الخطورة، ومن انعدام الدّقّة في المذهب ومن عدم الاكتراث بهذا الأمر، ومن الخطل ما يجيز لنا القول بأنّ علم اللّغة لمّا يظهر بينهم" (ح.ل، ص 262).

17 لا ريب في أنّ / فكر "ويتناي" يرتبط بالاختباريّة الأنقلوسكسونيّة كما يقول "بولالّي"؛ ولا شكّ أنّ في موقفه العلميّ شيئا ما يرجع "إلى آدم سميث" "وستيوارت مل" مثلما يشير إلى ذلك "تراتشيني". غير أنّ هذا لا يكفي لبيان طرافة الإنتاج اللّسانيّ، عند "ويتناي"، الفريدة في عصره.

أمّا مصنّفاته في اللّسانيّات العامّة فعددها أربعة :

1- *"اللّغة ودراسة اللّغة"*، (*) اثنتا عشرة محاضرة في مبادئ العلم

(*) "Language and the Study of Language"

اللّسانيّ، لندن، تروبنر، 1867 (نشر في الوقت نفسه بنيويورك).

2- *"اللّغة ودراستها بالإحالة على أسرة الألسنة الهندية الأوروبيّة خصوصا"* (*)، سبع محاضرات، إلخ.، نشر "ر. مورّيس"، لندن، تروبنر، 1876، XXII - 317 ص (لاحقا : ل.د.) هذا المصنّف ترجم إلى الألمانية :

"Die Sprachwissenschaft. Vorlesungen über die Prinzipien dervergl. Sprachforschung" [*علم اللّغة، محاضرات في مبادئ اللّسانيات المقارنة*]

"bearbeitert und erweitert" [منقّح ومزيد]، "فون يوليوس جلّي"، مونيخ، 1874.

3- *"حياة اللّغة ونموّها"*، (**)" نيويورك ولندن، 1875، وهو "صيغة مقتضبة" من المحاضرات التي يحتوي عليها المصنّفان الأوّلان (ل.د ص VI) وقد ترجم هذا المصنّف :

أ- إلى الفرنسيّة : *"La vie du langage"* <*حياة اللّغة*>، باريس "مكتبة جرماربايار"، 1875، غير أنّنا نذكره في هذا الكتاب (بهذا الرّمز ح.ل) في طبعتة الثّالثة، 1880، VII - 264 ص. ولا يظهر اسم المترجم غير أنّ "غوديل" يشير في *المصادر المخطوطة* [*لدروس سوسّير*] ص 19، قائلا : "الترجمة الفرنسيّة قام بها المؤلّف".

ب- إلى الإيطاليّة : *"La vita e lo sviluppo del linguaggio"* <*حياة اللّغة ونموّها*> ترجمة فرانشيسكو دي أفيديو، ميلانو، دومولارد، 1876؛

ج- إلى الألمانيّة : *"Leben und Wachstum der Sprache"* <*حياة اللّغة ونموّها*> لايبزيغ / 1876؛ وقد قام بالتّرجمة "لسكين" وهو أحد مؤسّسي حركة النحاة الجدد. 18

4- *"ماكس مولّر وعلم اللّغة"* (***)، نقد، نيويورك، 1892.

(*) "Language and its Study with Especial Reference to the I-E Family of Languages"

(**) "The life and Growth of Language"

(***) "Max Müller and the Science of Language"

وإنّ مصير كتابات "ويتناي" وفكره يبقى ملتبسا. وقد نشرت مصنّفاته كما نرى في "لندن" و"نيويورك" في آن واحد. وهي مصنّفات غير مجهولة في أوروبا بل يعاد نشرها وتترجم. ويعرف مصنّف *ل.د* طبعته الثّالثة في سنة 1870 وطبعته الرّابعة في سنة 1884؛ أمّا الترجمة الفرنسيّة لمصنّف *ح.ل* فتعرف ثلاث طبعات (من سنة 1875 إلى سنة 1880). وقد قدّم "فلهلم شيرر"، وهو واحد من شيوخ حركة النّحاة الجدد ترجمة "جلّي" الألمانيّة.بيد أنّه يبدو أنّ قرّاءه آنذاك لا يأخذون عنه إلاّ ما يشترك فيه مع المختصّين في النّحو المقارن وعلماء السّنسكريتيّة في ذلك العصر. لا ريب أنّ أوّل قرّائه الحقيقيّين وأهمّهم هو "سوسّير"؛ ولو لم يكن له سوى "سوسّير" قارئا لكفاه ذلك عظم شأن. غير أنّه إن لم يؤثّر في "بوعز" فإنّه يفسّر قطعا "بلومفيلد" الذي يقول، وهو من هو في الضنّ بالمجاملة، عن "ويتناي" : إنّ مصنّفيه الكبيرين "يبدوان منقوصين لكنّهما لا يكادان يفقدان طرافتهما، إذ لا يزالان [سنة 1933] مستعملين بمثابة مدخل جيّد إلى دراسة اللّغة" (*اللّغة*، "بايو"، 1970، ص 21). وإنّ له فضلا ما على "سابير" "وورف" والأمريكيين قاطبة (على أنّه لا يعرف "بيرس" "وبيرس" يجهل أمره فيما يظهر). وفي أوروبا لا يدعو "سوسّير" نفسه إلى إعادة قراءته. وفي أيامنا، فإنّ ما لدينا من تواريخ للّسانيّات لا تذكره إلاّ قليلا. وعندما كتب "مايّي" في سنة 1926 قائلا إنّ اللّسانيّات العامّة كانت تفتقر ولا تزال تفتقر إلى كتاب قيّم، مقصيا بذلك "ويتناي"، فإنّا نقدّر مدى سوء حظّه عندنا. وإنّ "بينيدتّو كروتشي" (*) الخصم المتبصّر هو وحده الذي ذكره للبتّ في شأنه في مصنّفة *"الجمالية باعتبارها علم تعبير ولسانيّات عامّة"* (**)، 1901 (المذكور حسب الطّبعة الثّالثة المراجعة سنة 1950، ص 449 - 450) عائبا عليه / "رجوعه إلى المذهب القديم الذي يعتبر الكلام علامة"، ومبديا عظيم الأسف لأنّ "فوند" ألزم نفسه "بتفاهات ويتناي" (ص 449 - 450). والاستثناء الآخر اللاّفت للنّظر

19

(*) "بينيدتّو كروتشي" : (1866 - 1952) : فيلسوف ومؤرّخ وسياسيّ إيطاليّ.

(**) Estetica come scienza dell'espressione e linguistica generale.

هو أنّ "تراتشيني" في مصنّفه *"المرشد إلى دراسة اللّسانيّات التاريخيّة"* (*) (روما، 1949)، "لا يزال" يجده "رائعا معجبا".

إنّ أطروحة "ويتناي" الأولى والكبرى المجسّمة لمعارضته "شليشر" و"ماكس مولّر" هي أنّ اللّغة ليست ظاهرة طبيعيّة وخاصّيّة بيولوجيّة في الإنسان وإنّما هي ظاهرة اجتماعيّة؛ وأن اللّسانيّات، تبعا لذلك، ليست علما طبيعيّا وإنّما هي علم تاريخيّ. فهو يلاحظ قائلا : "إنّ موادّ علم الحفريّات هي فوق موادّ اللّسانيّات بكثير من حيث هيولانيّتها؛ ولم يدر، مع ذلك، في خلدنا قطّ أن نسمّيه علما فيزيائيّا" (ح.ل، ص 257). ويكفي أن نلاحظ، لبيان مدى ثوريّة هذا الرّأي في عصره، منزلة الاستعمال المجازيّ لمصطلح *الكيان العضوي* من كتابات العصر. فقد بلغ هذا الاستعمال حدّ السّخف عند "آرسان دارمستيتر" (رغم أنّه قرأ "لويتناي") وذلك في مصنّفه *"حياة الألفاظ"* (دولاغراف 1887)؛ لا شكّ أنّ هذا المصنّف لا يتعرّض كلّ ما فيه للانتقاد ولكنّه يبدأ بهذه الجملة : "إن كانت اليوم حقيقة مبتذلة فإنّما هي حقيقة أنّ الألسنة كيانات عضويّة حيّة، وأنّ حياة هذه الكيانات رغم طبيعتها الفكريّة المحض، ليست أقلّ واقعيّة ويمكن مقارنتها بحياة الكيانات العضويّة في مملكة النّبات أو في مملكة الحيوان" (ص 3). ويفسّر نشأة الألفاظ المشتركة بالبرعمة أو القمعلة كما هو الشأن "في الكيانات العضويّة السّفلى" (ص 38)؛ ويفسّر حياة هذه الألفاظ بالتّزاحم الحيويّ إلخ. وما زال من المفيد اليوم أيضا إعادة قراءة هذا الاقتباس الشّنيع لعلم ما من المثل النظريّة لعلم آخر.

ويترتّب على أطروحة "ويتناي" الأولى أنّ اللّغة ليست ملكة (ح.ل، ص 229، 230، 239)، وإنّما ينبغي أن تدرس على أنّها "مؤسّسة من ابتكار بشريّ" (ح.ل، ص 28؛ انظر أيضا الصّفحات 223، 230، 231، 254 ؛ / ل.د، ص 48 و 177) وليست هذه الأطروحة أقلّ ثوريّة من الأطروحة السّابقة في ذلك العصر. زد على ذلك أنّ "ويتناي" يطرح منذ

(*) Guida allo studio della linguistica storica"

الوهلة الأولى أساسها اللّسانيّ : فهو يؤكّد تأكيدا شديدا في عشرين موضعا - ويبدو أنّه الوحيد في ذلك عصرئذ إذا استثنينا جملة يتيمة "لكارل ماركس" - أنّ "السّبب [...] الذي يحمل في بذوره تاريخ اللّغة كلّه هو الرّغبة في التّواصل" (*ح.ل*، ص 234) ؛ وأنّ "اللّغة [...] توجد [...] باعتبارها وسيلة تواصل بين البشر لا جزئيّا فحسب وإنّما أوّلا وآخرا" (ح.ل، ص 124؛ و *ل.د* ص 13، 25) ؛ وانظر أيضا (*ح.ل*، ص 145) حول "ضرورة التّواصل التي تناوئ التّغيّرات"؛ و (ص 236، 242، 243، 244) حول دور التّفاهم؛ و(ص 41، 42، 45، 47، 48، 61، 63، 66، 89، 106؛ راجع أيضا *ل.د*، ص 70) حول "ما يترتّب عليه من "نزعة إلى الاقتصاد في الوسائل".

وبعد أن يسلّم "ويتناي"بهذا الأمر، يفصّل القول مستقصيا أطروحته التي ترى أنّ اللّغة هي *أداة* التّواصل : "لا يوجد في الحقيقة تشبيه أبلغ من هذا : وهو أنّ الكلمات هي لذهن الإنسان بمنزلة الأدوات ليديه" (*ح.ل*، ص 19؛ راجع أيضا ص 186 : "اللّغة آلة"؛ ص 229 : "ليست اللّغة [...] قوّة ولا ملكة [...]، ولا هي استعمال الفكر استعمالا مباشرا بل هي محصّل غير مباشر لهذا الفكر، إنّها آلة").

ويفضي هذا الأمر "بويتناي" إلى وصف قوام هذه الأداة وصفا جيّدا، فيرى رأيا جديدا أيضا في ذلك العصر وهو أنّ قوامها علامات : "اللّغة هي اجتماع علامات" (*ح.ل*، ص 1؛ انظر أيضا *ل.د*.، ص 32). "العلامات المقطّعة (*) هي أبعد ما يكون عن مماثلة الفكرة؛ فهي لا تماثلها إلاّ بقدر ما تماثل العلامات الرّياضيّة المتصوّرات والكمّيّات والعلاقات العدديّة" [التي تمثّلها] (*ح.ل*، ص 24) وما يميّز اللّغة البشريّة من التّواصل الحيوانيّ بنوع خاصّ إنّما هو أنّ العلامات في هذه اللّغة اعتباطيّة (*ح.ل*، ص 15)،

(*) يعرّف سوسّير التّقطيع بقوله : "... ويمكن أن يدعم هذا الرّأي تحديد من التّحديدات لما يسمّى بالكلام المقطع Langage articulé ففي اللاّتينيّة تعني كلمة articulus العضو أو الجزء أو التفريع في صلب سلسلة من الأشياء. أمّا في مجال اللّغة فيمكن للتّقطيع أن يعني إمّا تقسيم السلسلة المنطوقة إلى مقاطع أو تقسيم سلسلة المعاني إلى وحدات معنويّة" ("دروس في الألسنيّة العامّة" ص 30) تعريب الأساتذة : القرمادي والشاوش وعجينة.

واصطلاحيّة (ح.ل، ص 2) (انظر أيضا ص 70، 117، 162 ؛ ل.د.،/ ص 14)."في هذه الحقيقة الأساسيّة المتمثّلة في أنّ العلامة المقطّعة علامة اصطلاحيّة لا ترتبط بالمتصوّر إلا بواسطة اقتران ذهنيّ، يوجد السّبب الذي يجعل من تغيّرات شكل العلامة وتغيّرات معناها أمرا ممكنا [باستقلال هذه التّغيّرات عن تلك]؛ولو كانت هذه الصّلة طبيعيّة داخليّة ضروريّة لاستوجب ذلك أنّ كلّ تغيّر في المتصوّر ينتج عنه تغيّر نظير في العلامة (ح.ل.، ص 41؛ راجع أيضا ص 65).

بيد أنّ "ويتناي" في هذه المسألة، ورأيه هنا طريف أيضا، يطرح على نفسه السّؤال الجديد : كيف تجري علامات اللّغة ؟ وجوابه الذي لا يزال فيه أثر البيولوجيّة (*) التي يعيبها على الآخرين، هو منطلق لسانيّات القرن العشرين كلّها إذ يقول : "اللّغة مثلها مثل جسم عضويّ ليست ركاما من الجزيئات المتشابهة، بل هي مجموعة من الأجزاء يرتبط بعضها ببعض ويرفد بعضها بعضا" ل.د ص 46). وفي الحال تظهر الكلمات الرّئيسيّة : من ذلك أنّ الأبجديّة المنطوقة [أي الأصوات الدّنيا في لسان ما] [...] ليست فوضى وإنّما هي *نظام* متّسق من التقطيعات تخترقها علاقات في جميع الاتّجاهات" (ل.د، ص 91) ويظهر هذا بصورة أوضح من ذلك في قوله : "ليست مادّة اللّغة [...] الصّوت المقطّع فحسب، إذ قد ينظر إلى الصّوت، في وجه من الوجوه، باعتباره محصّلا فيزيائيّا، بل هي أيضا الصّوت وقد صار دالاّ على الفكر؛ ومحصّل ذلك [...] *نظام* من الأصوات مع محتوى معقول" (ل.د، ص 49). وتظهر في قوله أيضا : "إنّ اللّسان، في الحقيقة، *نظام* كبير ذو بنية شديدة التّعقيد، متناظرة ؛ فهو يشبه، من جميع وجوهه، جسما منتظما" (ل.د، ص 50؛ انظر أيضا ح.ل، ص 57، 58 و 52 حيث تعرّف مهمّة اللّسانيّ بأنّها "تبديل كتلة الأصوات المقطّعة نظاما متّسقا"). ومثلما وقفنا على ذلك فإن كلمة بنية سرعان ما تظهر (انظر ح.ل، ص 148، 175،

(*) البيولوجيّة : "Biologisme" : هي ما ذكره المؤلّف من هيمنة المثال النّظري لعلم الأحياء على علوم أخرى.

189، 201، 215؛ *ول.د.* ص 49، 50، 87). /

إنّ هذا التحليل لسمات فكر "ويتناي" الأساسيّة لا يستوعب ثراءه فالفصل الثاني كلّه (ص 6 - 25) من *ح.ل.*، وهو فصل ثريّ جداً، قد محّض لتعلّم الطّفل : فكيف يحصّل كلّ إنسان لسان قومه ؟ يقول "ويتناي" : "إنه لا يمكن أن نسأل في خصوص اللّغة سؤالا أشدّ من هذا السّؤال بساطة وصبغة أساسيّة في آن واحد" (ص 6) وهو يدرك جيّدا دور الموقف في سيرورة التّواصل (ص 15) وكلّ الصّياغات الهمبولديّة الجديدة عند "سابير" و"وورف" في خصوص أنّ اللّسان موشور (*) تكيّف من خلاله رؤية العالم هي صياغات سبق أن ذكرها "ويتناي"، فقد كتب يقول : "إنّ أسلافنا على الأرض استخدموا طاقاتهم الفكريّة على مرّ الأجيال في الملاحظة والاستنتاج والتّبويب [حياة ـ موت، حيوان ـ نبات، سمكة ـ زاحفة، طائر ـ حشرة...] : فنحن نرث في اللّغة وبواسطة اللّغة نتائج أعمالهم [...] إذ إنّ لكلّ لسان إطاره الخاصّ من التّمييزات المقرّرة، ولكلّ لسان عباراته وقوالبه التي تفرغ فيها فكر الإنسان والتي تكوّن لسانه الأوّل" (*ح.ل.*، ص16 - 18؛ انظر أيضا ص18 - 19).

وهو يبقى مثالا يحتذى في موقفه الابستيمولوجيّ؛ فاللّسانيّات ينبغي في نظره، منذ سنة 1874، أن تصبح علما ولكنّها ليست بعد كذلك : "فعلم اللّغة بالمعنى الدّقيق هو في طور الطّفولة" (*ح.ل.*، ص 260). فينبغي عليها أن تؤسّس باعتبارها مخالفة لفقه اللّغة المقارن الذي لا يجوز نبذه باسم العلم الجديد ("فهما جانبان لدراسة واحدة"، *ح.ل.*، ص 259؛ راجع أيضا ص 157) ولكن عليها أن تؤسّس على وجه الخصوص باعتبارها مخالفة "للعلوم الطّبيعيّة من جهة وعلم النّفس من جهة أخرى؛ وهي علوم تسعى إلى الاستحواذ على علم اللّغة وهو ليس منها" (*ح.ل.*، ص V ؛ انظر أيضا ص 252، 256 - 257). وهو يرى " أنّ لها من اتساع القاعدة وتحدّد الموضوع

(*) الموشور (Prisme) : مجسّم من بلّور ذو وجوه عديدة متوازية يغيّر صورة الأشياء في عين النّاظر.

وصرامة المنهج وخصب / النّتائج ما لأيّ علم من العلوم" (ح.ل.، ص 4).

ولا يتردّد "ويتناي" البتّة في شأن منهج العلم الجديد : "فبراهينه ومناهجه تاريخيّة" (ح.ل، ص 257) ورغم أنّ "ويتناي" خصّص فصلا كاملا من ح.ل (XI ، ص 175 - 187) لدراسة البنى الشكليّة في الألسنة دون اعتبار تطوّرها، فإنّه يبقى في خصوص هذه المسألة رجل عصره.

وهو متميّز بالدّقّة التي يجري بها بيان حدود موضوع اللّسانيّات،وأمّا عن كيفيّة فصلها عن العلوم الطّبيعيّة وعلم النّفس وكذلك عن فقه اللّغة فقد أومأنا إليها السّاعة. ويلاحظ أيضا قائلا : "إنّها قطعا دراسة مهمّة ومفيدة تلك التي تعنى بوسائل التّواصل عند الحيوانات السّفلى وبمدى هذه الوسائل (ح.ل، ص 239)، غير أنّ هذه الوسائل هي " ذات طابع شديد الاختلاف عن طابع اللّغة حتى إنّها لا تستحقّ أن تسمّى لسانا [...] وليس على اللّسانيّ شرح علّة هذا الاختلاف" (ح.ل.، ص 232؛ انظر أيضا ص 2 - 3). وبهذا التّصريح، على ما فيه من صرامة، نقيس الفرق بين "ويتناي" والسّنّة اللّسانيّة التي واصلت حتّى خمسينات القرن العشرين،على وجه التّقريب،الحديث عن جميع أشكال التّواصل بل عن التّجلّي الخارجيّ البسيط حديثها عن لغة. فلا يخفى على ذهنه تنوّع وسائل التّواصل أو نظمه من "إيماءات وتمثيل إشاريّ وحروف مصوّرة أو مكتوبة وأصوات مقطّعة" (ح.ل، ص 1 - 2) غير أنّه يقصي على نحو جازم كلّ ما سوى النّوع الأخير. وقد كتب يقول : "بصورة أشمل يسوغ لنا القول إنّ كلّ ما يجسّد فكر [الإنسان] هذا وإنّ كلّ ما يجعله قابلا للفهم هو لغة" [فالعصر الوسيط مثلا يحدّثنا بهندسته المعماريّة كما يقال]، "بيد أنّه ينبغي تدقيق معنى كلمة لغة تدقيقا أشدّ في نطاق دراسة علميّة وإلا فإنّ هذا المعنى يمكن أن يتّسع فيشمل جميع الأعمال وجميع المحصّلات (ح.ل، ص 1) ويستخلص من ذلك [سنة 1875] أنّه "عندما نتحدّث / عن اللّغة فإنّنا نقصد بذلك مجموعة الأصوات المقطّعة فحسب" ص24
(ح.ل.، ص 2).

إنّ هذا الاهتمام الابستيمولوجيّ حقّا ببيان حدود موضوع اللّسانيّات

على نحو صارم لا ينفكّ يتردّد في كتاباته. أمّا العلوم التي يرفضها فإنّه لا يرفضها عن هيمنة لسانيّة أو عن استهانة بها وإنّما هو على النّقيض من ذلك يرفضها عن إدراك وجيه في كلّ الأحيان تقريبا لما يتعلّق بكلّ علم من صلاحيّات. فهو يلاحظ قائلا : "إنّ أوّل شيء ينبغي للطّفل تعلّمه قبل الكلام هو ملاحظة الأشياء وتمييزها [...] وهما عمليّتان بسيكولوجيّتان شديدتا التّعقيد ليس على اللّسانيّ وصفهما في جميع تفاصيلهما" (*ح.ل.*، ص 8-9). وإنّ ما يحدث في "الكيان العضويّ المخّي الذي تنتقل إليه هذه الارتسامات البصريّة [...] هو من شأن الفيزيائيّ [...]، وهو من شأ ن عالم وظائف الأعضاء [...] وهو من شأن عالم النّفس" (*ح.ل.*، ص 12). أمّا في خصوص الصّوتيّات فهو يميّز تمييزا لطيفا ما هو من "شأن السّمعيّات ممّا هو من شأن اللّساني عن جدارة : أيّ التّغييرات الإراديّة لمواقع أعضاء الفم" (*ح.ل.*، ص 51). وفي موضع آخر بعد هذا نجده يدقّق بتأكيد مماثل أنّه "على عالم الأجناس [...] وعلى الأنثروبولوجي [...] وعلى عالم الحيوان [...]" أن يحلّ هذا المشكل المتعلّق باللّغة أو ذاك (*ح.ل.*، ص 224)؛ أو "أنّه لا يحقّ للّسانيّ [...] كما لا يحقّ للمؤرّخ أيضا [...]، وإنّما هو من شأن عالم النّفس" أن ينظر في مشاكل أخرى (*ح.ل.*، ص 249 و 250). وكلّما أدّى به بيان حدود موضوعه إلى إنكار أن تقوم اللّسانيّات بهذه المهمّة أو تلك، نطق بالكلمة التي هي بيت القصيد (ولو بقي الاحتجاج سريعا) وصورتها "أنّه "يعوزنا المقياس لتأسيس الحكم" (*ح.ل.*، ص 252).

وإنّ كلّ قارئ مارس ممارسة كافية "دروس" "سوسّير" يتبيّن عند قراءته هذا المصنّف عشرين استشهادا تقوم حجّة على الفضل الذي يقرّ به "سوسّير" "لويتناي" أيّما إقرار. وإنّ كلّ قارئ من قرّاء "بلومفيلد" و"مارتيناي" يلفي حتى العبارات المألوفة / نفسها وهي عبارات في شأن "ما ليس من صلاحيّة اللّسانيّ" لا تني تتردّد مترقّية بالمسار العلميّ في اللّسانيّات.

وليس ما نفعله في هذا المقام تلفيقا لاستشهادات قيّمة بعزلها عن سياقها بل هو حقّا هيكل فكر منتظم متناسق كان له أثر عميق بعد زمن

معلوم : ذلك أنّ "ويتناي" بتأثيره في "سوسّير" و"بلومفيلد" فحسب هو – وهذه حالة فريدة – مصدر للفكر اللّسانيّ الحديث الأوروبيّ والأمريكيّ على حدّ سواء.

ولا يعني هذا أن نذهل عن جميع المسائل التي يبقى فيها أيضا تابعا على نحو شديد لأوضاع عصره الإيديولوجيّة والعلميّة، فقد سبق أن رأينا أنّ بعض الصّياغات عنده، وهي مالم نتجنّب ذكرها على وجه الخصوص، أقلّ تخلّصا من البيولوجيّة المحيطة ممّا كان يدعو إليه هو نفسه. أمّا عن مفهوم النّظام فهو لا يبلغ فيه من الجلاء ما سيبلغه "سوسّير" بفضله إلى حدّ ما.وهو يبقى في حيرة من أمر الخلاف بين الموقف التاريخيّ الذي ورثه من تكوينه – والموقف الوصفيّ الذي يدعو إليه. فهو لا يحسن الوقوف على العلاقة النظريّة والمنهاجيّة التي تقام بين ما سيسمّيه "سوسّير" الزّمانيّة والآنيّة (انظر *ح.ل.*، ص 157 على وجه الخصوص)، ويستمرّ على تفضيل لحظة الدّراسة التّاريخيّة حتّى في عرضه الذي يرد فيه الفصل المتعلّق بوصف البنى بعد الفصول التّاريخيّة كلّها (من III إلى VIII) (انظر *ح.ل.*، ص 256 - 257) وأمّا عمّا سيصير صوتما في وقت لاحق قريب من عصره فليس لديه سوى حدس لافت للنّظر في ضرورة "تمييز العناصر الماديّة من العناصر الشّكليّة في اللّغة" بوجه عامّ (*ح.ل.*، ص 175)، أو فيما نسمّيه اليوم بوظيفة الأصوات التّمييزيّة وهي الوظيفة المرتبطة "بالتّغييرات الإراديّة لمواقع أعضاء الفم" (*ح.ل.*، ص51)، أو فيما هو مفيد في تحليل الأصوات مثلما نقول الآن، وليس / هذا المفيد محصّل الأعضاء الفيزيائيّ بل هو "الصّوت وقد صار دالاّ على الكلام" – وكلّها عبارات لم يمكنها أن تمرّ دون أن يلتفت إليها "سوسّير". ولكن ليس ينبغي لنا أن نطلب إنطاقها بأكثر ممّا تنطق به فإنّ ما نطقت به هو بالنّظر إلى العصر جمّ كثير.

"جان إينياسي بودوان دي كورتناي"

27 ولد "جان إينياسي بودوان دي كورتناي" (1845 - 1929) قرب "فرصوفيا" حيث شرع في دراسته التي واصلها في "براغ" و"إيينا" و"برلين". ثمّ درّس بعد ذلك في جامعات "سان بطرسبورغ" (1868) ثمّ "قازان" (1875 - 1883) و"دوربا" ("إيوراف" اليوم) (1883 - 1893) و"كراكوفيا" النّمساويّة على ذلك العهد (1893 - 1899) ثمّ "بطرسبورغ" مرّة أخرى (1900 - 1920)، وعاد في نهاية الأمر إلى "فرصوفيا" التي أصبحت من جديد عاصمة "بولونيا" المستقلّة (1920 - 1929). وهو وطنيّ تحرّريّ صاحب فكر متقدّمة، شجاع، على أهبة دائمة للدّفاع عن الأقلّيّات المضطهدة، عرف السّجن من أجل فكره سنة 1914.

ويبقى أثره باعتباره لسانيّا مشتّتا تشتّتا عظيما في عدد من المجلاّت العسيرة المنال، وهو أثر يمتدّ على أكثر من ستّين سنة، مثقل بمصطلحيّة وضعها وضعا وبميل إلى عمل تأليفيّ صيغ صياغة ضبابيّة وبنظريّات حوّل قلّب؛ وقد أتلفت وثائق، لعلّها أن تكون نفيسة، أثناء الحرب العالميّة الثّانية كان استودعها "فاسمار". زد على ذلك أنّه قلّما وقع التّنبيه إلى هذا الرّائد إلاّ بعد وفاته بفضل إشارات "تروبتسكوي" إليه في مقالته *"بمجلّة علم النّفس"* (*) سنة 1933 ("باريانت"، *"محاولات"* (**)، ص 105، م 144 - 147، 151 م، 159 - 162) ثمّ في مصنّف *"مبادئ في الصوتميّة"* (الطّبعة الفرنسيّة، / 1949، ص 4 م، 5، 10، 37 م، 41 - 42). وبالنّسبة إلى السّوفيات أنفسهم، وكان أثر "بودوان" عندهم يسير المأخذ يسيرا كبيرا، لم يشرع في الاهتمام "ببودوان دي كورتناي" إلاّ بعد إدانة "مارّ" (***) ص28

(*) "Journal de psychologie"

(**) عنوان المصنّف كاملا : "محاولات في اللّغة" "Essais sur le langage" منشورات "مينوي" 1969.

(***) "مار" "Marr" : لسانيّ سوفياتي (توفّي سنة 1934) حاول تطبيق مثال الماركسيّة النظريّ على اللّسانيّات، هيمن على تدريس اللّسانيّات في الاتّحاد السّوفياتي يدعمه في ذلك جهاز الدّولة الجامعيّ. وقد تواصلت هيمنة نظريّاته على الفكر اللّسانيّ السّوفياتي إلى أن تدخّل "ستالين" سنة 1950 فأنهاها. (انظر الفصل الأخير من هذا الكتاب : "الماركسيّة واللّسانيّات").

ص29 لسانيّي ما قبل الحرب اللّذين لم يكن النّظام الصّوتيّ / عندهما محصّل تأليف عارضا بصور متفاوتة وغير منتظر (ومن ثمّ غير شرعيّ) وإنّما هو منطلق البحث ومبدأ من مبادئ المنهج الأساسيّة، هما "ف. دي سوسّير" و"ج. دي كورتناي" ("باريانت"، "محاولات"، ص 151، م 11). نضيف إلى ذلك اليوم المشكل المقترن به وهو مشكل العلاقات بين "سوسّير" و"بودوان". فقد كان "تروبتسكوي" يحسبهما أكثر استقلالا عن بعضهما بعضا ممّا هما عليه في الواقع (في الموضع نفسه، ص 144 و م 2) وذلك بسبب انعدام الوثائق التي نحوزها اليوم.

وفعلا فإنّ "سوسّير" و"بودوان" لم يكن الواحد منهما غير جاهل للآخر فحسب (رغم أنّ "بودوان" لا يبدو قطّ أنّه "عبّر عن موقفه إزاء فكر "سوسيّر" تعبيرا صريحا"، راجع "دوروسفسكي"، *"محاولات"*، ص 105، م 15) بل، بضدّ ذلك، كانت بينهما صلات مشهود بثبوتها اليوم. فنحن نعرف بفضل "سلوشاريفا" و"بنفينيست" و"دي مورو" أنّ "سوسّير" كان حاضرا في جلسة "جمعيّة اللّسانيّات بباريس" وذلك في الثّالث من شهر كانون الأوّل - ديسمبر من سنة 1881 عندما انتخب بها "بودوان" عضوا، وأنّ كلّ واحد منهما استمع إلى ما قدّمه الآخر في جلسات الثّالث من شهر كانون الأوّل - ديسمبر من سنة 1881 والسّابع من شهر كانون الثاني - جانفي من سنة 1882 ولنا أيضا رسالة من "سوسّير" إلى "بودوان" بتاريخ السّادس عشر من شهر تشرين الأوّل - أكتوبر من سنة 1889 تسترجع فيها ذكرى لقائهما في 1881 - 1882. كما نعلم أيضا أنّ "بودوان" قد أطلع "سوسّير" منذ سنة 1881 على فكر تلميذه "كروسفسكي" وكتاباته وهو التّلميذ الذي سنتبيّن خطره أسفله ([دروس] (*)، ص 306، م 6). وقد قدّم "كروسفسكي" نفسه منذ سنة 1880 المصنّف الشّهير *"مذكّرة حول نظام الصّوائت البدائيّ في الألسنة*

---

(1) تحيل كلمة :دروس" الواردة بين معقّفين [ ] على مصنّف "توليو دي مورو" : Corso di linguistica generale" وهو ترجمة إيطاليّة وتقديم وشرح لمصنّف "فرديناند دي سوسير""دروس في اللّسانيّات العامّة".

وعندما أحلّت صوتميّة "تروبتسكوي" من كلّ محظور لسانيّ إن لم يكن محظورا إيديولوجيّا. وقد صار "بودوان" رائدا روسيّا صاحب فكر ازدهرت لاحقا في الغرب. ومثلما هو الشأن دوما عندما يتعلّق الأمر بتدارك ما فات فقد عمل العلم السّوفياتيّ بسرعة وانتظام ونشر على نحو مسترسل لـ" ل.ف. شيربا" رأس تلامذة "بودوان" مقالته : *"J.A. Boduen de Kurtene i ego značenje v nauke o jazyke"* ["ب. دي ك. وأهمّيّته في علم اللّغة"] (في : *"Izbrannye po raboty po russkomu jazyk"* [*مختارات من الأعمال حول اللّسان الرّوسيّ*]، موسكو، 1957)؛ ثمّ نشر مجموعة "ج. أ. بودوان دي كورتناي 1845 - 1929"، طبعة مجمع العلوم، موسكو، 1960، وهي مجموعة مقالات حرّرها سبعة لسانيّين، ثم نشر مصنّف : "Boduen de Kurtene, Izbrannye trudy po obščemu jazykoznaniju" ["بودوان دي كورتناي ؛ مختارات من الأعمال في اللّسانيّات العامّة"]، المجلّد الثّاني، موسكو 1963، 1964 وهو يحوي الآن زبدة ما هو قريب المنال وما هو ضروريّ لإدراك فكر "بودوان" (وهذا المصنّف الأخير هو الذي سيشار إليه دائما أسفله بهذه الإحالة : "مختارات" (*)). وفي الوقت نفسه قدّم "ف. دوروسفسكي" مقالته "جان بودوان دي كورتناي" في مجلّة "سلافيا أوروبونتاليس" (**) (المجلّد XI، 1962، ص 437 - 446). وهذا الرّجل بولونيّ من قدماء المدرسة الصّوتميّة الأولى العارفين، وقد كانت مساهمته فيها نقديّة على نحو خاصّ. وكان "فاسمار" نفسه كتب مقالة مفيدة، سنة 1947، "لمجلّة الصّوتيّات واللّسانيّات العامّة" (***) (المجلّد الأوّل، ص 71 - 77) وذلك بمناسبة مائويّة ميلاد "بودوان".

وإن مأتى كلّ الاهتمام بفكر هذا الرّجل اليوم إنّما هو التّحقّق ممّا كان يؤكّده "تروبتسكوي" سنة 1933 حين كتب قائلا : "إنّ اللّسانيّين الوحيدين من

(*) "Izbrannye".

(**) "Slavia Orientalis".

(***) "Zeitschrift für Phonetik und allgemeine Sprachwissenschaft".

الهنديّة الأوروبيّة" الذي كان سوسّير قد فرغ من نشره وهو في سنّ الحادية والعشرين (راجع [دروس] ص 307، م 6). وأخيرا فإنّ "سوسيّر" قد أظهر ما يشعر به في شأن هذه المسألة بجلاء تامّ على الأقلّ في مناسبتين إحداهما مشهورة وذلك حين كتب يقول : ""بودوان دي كورتناي" و"كروسفسكي" كانا أقرب النّاس إلى رؤية اللّسان رؤية نظريّة، وهذا دون الخروج عن الاعتبارات اللّسانيّة المحض؛ وهما / من جهة أخرى مغموران لدى جيل العلماء الغربيّين" ص30
(ملاحظة من سنة 1908 غير منشورة، راجع "غوديل"، "مصادر"، ص 51؛ وانظر أيضا "كراريس ف. دي سوسّير"، عدد 12، 1954، ص 66). ولم يعد المشكل يتمثّل في معرفة هل اتّصل "سوسّير" "ببودوان" ؟ بل أصبح يتمثّل في تحديد دقيق لتأثير الثّاني في فكر الأوّل.

لقد عني "بودوان"، حتى قبل سنة 1889، بعلائق اللّغة بالعوامل البسيكولوجيّة والعوامل الاجتماعيّة. وإن تصوّره لهذه العلائق هو تصوّر نفسانيّ (*) في جوهره : فاللّسان عنده هو ظاهرة نفسيّة في المقام الأوّل، ومعنى ذلك أن تطوّر الألسنة تكيّفه عوامل بسيكولوجيّة. ولا ريب في أنّه يعي أيضا تمام الوعي أنّ اللّسان خاضع أيضا لعوامل من مشمولات العقليّات الجماعيّة. غير أنّه يستمرّ دوما على تفضيل المظهر الفرديّ في اللّغة وعلى تأكيد أن لا وجود إلاّ للكلام الفرديّ وأنّ "ما يسمّى اللّسان الرّوسيّ لا يمثّل إلاّ محض تخيّل. فلا يوجد أيّ لسان روسيّ كما لا يوجد بصورة عامّة أيّ لسان قبليّ أو قوميّ. فلا وجود من جهة الوقائع النفسيّة إلاّ لألسنة فرديّة أو أفكار لغويّة فرديّة على الأصحّ ("فالد" و"غرور"، ص 74؛ راجع "*مختارات*"، I، ص 348). وعنده أنّ لسان مجموعة ما هو "بناء مستنتج من سلسلة بأكملها من الألسنة الفردية الموجودة بصورة واقعيّة"، "وهو معدّل عارض للألسنة الفرديّة" (*في الموضع نفسه*). وقصارانا أن نرى أنّ "بودوان"، وقد

(*) نفسانيّ "Psychologiste" : أي ذو نزعة إلى تغليب وجهة نظر علم النّفس على وجهات نظر سائر العلوم.

توزّعته تيّارات العصر الإيديولوجيّة ذات المنزع البسيكولوجيّ (*) والسّوسيولوجيّ (**)، لم يتأتّ له أن يستنتج منها موقفا نظريّا راسخا. ولعلّ "دوروسفسكي" قد أصاب حين رأى أنّ "مفهوم *اللّسان* بالمعنى السّوسّيري لهذه الكلمة كان غريبا كلّ الغرابة" عن "بودوان" ("محاولات،" ص 105، م 15). وإنّه لمن العسير على كلّ حال أن نرى أنّ له على "سوسّير" فضلا ما في هذا الشأن.

31 وعلى النّقيض من ذلك فإنّ "تروبتسكوي" نفسه كان أكّد أيّما / تأكيد في مقالته سنة 1933 اتفاق هذين الرّائدين الكبيرين في الرأي في خصوص متصوّري الآنيّة والزّمانيّة. فهو يقول مؤكّدا : "إنّ نظريّات "سوسّير" و"بودوان" ظهرت في عصر تكاد تكون فيه اللّسانيّات العلميّة مرادفا للّسانيّات التّاريخيّة. ولمّا كانت هذه اللّسانيّات التّاريخيّة ذرّانيّة (***) لا همّ لها سوى دراسة تاريخ العناصر المنعزلة فإنّها كانت تعارض نزعات النّظريّات الجديدة وهي نزعات كونويّة (****) وبنيويّة. ولذلك كان "لسوسيّر" مثلما كان "لبودوان" أن يؤكّدا، دفاعا عن وجهة نظرهما، ضرورة اللّسانيّات السّكونيّة (الآنيّة حسب سوسّير) وأن يؤكّدا شرعيّتها [...]. وهذا الموقف من اللّسانيّات التاريخيّة يمكن أن نجده عند "بودوان" ولكنّ "سوسّير" على وجه الخصوص هو الذي جعل من تقابل *الآنيّة والزّمانيّة* قانونا من القوانين الأساسيّة في نظريّته ("باريانت"، ص 162). وهذا الحكم لا يزال يبدو اليوم صائبا، فإنّ "بودوان" يبسط على نحو متين، في عبارة شديدة التّأثّر "بويتناي"، شرعيّة لسانيّات وصفيّة أو سكونيّة (خالية خلوا تامّا من كلّ عدوى معياريّة) إلى جانب اللّسانيّات التّاريخيّة أو الحركيّة، ويبيّن التوسّل الابستيمولوجيّ إلى هذا الأمر فيقول : "لا يمكن للمرء أن يكون عالم

(*) "Psychologisants".

(**) "Sociologisants".

(***) ذرّانيّة "Atomiste".

(****) كونويّة "Universalistes".

إحاثة (*) بارعا دون أن يكون درس علم الأحياء قبل ذلك" ("مختارات"، I، ص 349). غير أنّه لا يبلغ مبلغ ما عند "سوسيّر" من قطيعة منهاجيّة جوهريّة: إذ ينبغي، في رأيه، ألاّ يوجد أي فصل بين هذين الضّربين من اللّسانيّات وهو رأي نكاد نلفيه عند الجميع عصرئذ، كما مرّ، إذ نجده عند "ويتناي" وعند "ياسبرسن" وعند "مايّي" ومفاده أن "سكونيّة اللّسان هي حالة خاصّة من حالات حركيّته لا غير ("*مختارات*"، I، ص 349).

غير أنّ أمر "بودوان" إن كان لا يزال يعنينا فإنّما ذلك بسبب اكتشافه لطبيعة الصّوتم اللّغويّة على وجه الخصوص؛ وإنّ رواية تاريخ ذلك ليست بالأمر الهيّن. فالمقالة الأولى التي يبدو أنّه قد وعى فيها أنّ / أصوات اللّغة تؤدّي ص32 وظيفة تمييزيّة هي مقالة يعود تاريخها إلى سنة 1869 : "تغيّر حرف "s" (ش، ش ي) وانتقاله إلى "ch" في البولونيّة" ("*مساهمة في اللّسانيّات المقارنة*" (**)، راجع "إيفيتش"، ص 133، م 17؛ وانظر أيضا "تروبتسكوي"، "*مبادئ*"، ص 4، م 1). وقد اتّخذ متصوّر الصّوتم عند "بودوان" شكلا، حقيقة، إبّان سنوات "قازان" عند لقائه "بكروسفسكي" وهو تلميذ موهوب يقترح عليه "بودوان" درسا يكون فيه الطّالب الوحيد الأوحد ومنشّط مناقشات مثيرة. ويرى "جاكبسن"، وهو دائم الاندفاع في فرضيّاته، أنّ التّلميذ "فاق أستاذه" ("*بحوث في اللّسانيّات الصّقلبيّة*" (***)، 1967). أمّا "شوغت" الذي درس الملفّ بدقّة فهو يرى أنّ السّعي إلى نسبة أصل نظريّة الصّوتم إلى "كروسفسكي" وحده لا يبدو أمرا مطابقا للحقيقة والواقع ("*اللّسانيّات*" 1966 / 2، ص 16). بل إنّ الحقيقة تكمن في تفاعل مثمر بين هذا وذاك. وإنّ "بودوان" من جهة أخرى قد أقرّ بفضل "كروسفسكي" عليه في هذا المجال (تروبتسكوي، في عمل "باريانت" ص 144، م 2؛ "شوغت"، ص 16)، وإن حدث له لاحقا أن ندم على تمكينه "كروسفسكي" من

(*) عالم إحاثة : "Paléontologiste".

(**) Beiträge zur vergl. Sprachforschung

(***) "Ricerche slavistiche".

كلّ علمه الذي قال عنه "بودوان" لعلّه لم يستخلص منه كلّ ما كان يمكن أن ينتظر منه (انظر "جاكبسن" في المقالة المذكورة).

إنّ الإحاطة بجوهر التصوّر الذي كان "بودوان" أوّل من اقترحه لهو أمر على جانب من اليسر، وكان "تروبتسكوي" قد وضّحه توضيحا كافيا في مقالته سنة 1933 وفي *"مبادئ في الصوتميّة"*. ومحصّل هذا التّصوّر أنّه يجب علينا وجوبا متحتّما أن نميّز الصّوت الخام في الكلام، وهو أيضا ما ينطق به المتكلّم في الواقع، من شيء آخر هو الصّوتم وهو ما يتخيّل المتكلّم أنّه نطق به وما يتخيّل السّامع أنّه سمعه. ودراسة الأصوات الخام في اللّغة هي، في رأي "بودوان"، من متعلّقات العلوم الفيزيائيّة والفسيولوجيّة : والصّوتيات السّمعيّة والصّوتيّات النّطقيّة هي التي يشملها تارة باسم الصّوتيّات العضويّة وطورا باسم علم التّصويت البشريّ. وهو / يقول بضرورة 33ب
علم متميّز، هو الصّوتيّات النّفسيّة، لدراسة الصّواتم وما يعنيه بمصطلح الصّوتم هو "المعادل النّفسيّ للصّوت" أي تمثيل مجرّد غير ماديّ لا يحتفظ من خصوصيّات الصّوت الخام إلاّ بتلك التي تحدث ارتساما نفسيّا مشتركا عند المتكلّمين بلسان واحد. ومن الأمور المحقّقة أن استخدام كلمة صوتم وتقابل متصوّري الصّوت الخام والصّوتم قد عرضهما "كروسفسكي" صراحة في تقديمه *"لمذكّرة "سوسّير"*. غير أنّه ليس من الممكن أن نغفل عن مقاربة بودوان منذ سنة 1869 في شأن ظهور المتصوّر في حدّ ذاته حتى وإن كانت الصّياغات الأجلى - التي تقابل ما يظنّ المتكلّم أنّه ينطق به بما ينطق به فعلا - توجد في مصنّف بتاريخ سنة 1894 وهو الموسوم بـ"Versuch einer Theorie phonetischer Alternationen. Ein Kapitel aus der Psychophonetik"

[*"محاولة (1) في نظريّة للتّناوبات الصّوتيّة. فصل في الصّوتيّات النّفسيّة"*]؛ بينما تظهر صياغات "كروسفسكي" في أطروحته بقازان "*Über die Lautabwechslung*" 1881، [*"حول التّناوبات الصّوتيّة"*]؛ وتظهر في

(1) العنوان في الرّوسيّة يستهلّ بكلمة "Proba" أي محاولة، إلخ.

"Ocerk nauki o jazike"، 1883 ["مجمل في علم اللغة"] وقد ترجم إلى الألمانيّة منذ سنتي 1884 - 1885 بعنوان "Prinzipien der Sprachentwicklung" ["مبادئ التطوّر اللّغويّ"]. ولا شكّ أنّ المشكل العظيم الخطر في هذا الشأن لم يعد اليوم تبيّن مساهمة موت "كروسفسكي" المبكّر، في إبعاد "بودوان" شيئا فشيئا عن توجّه إلى البحوث كانت توجد عند نهايته الصّوتميّة مثلما نعرفها. ولا شكّ أنّه لم يعد أيضا - وهذا ما رآه "تروبتسكوي" عن صواب - البرهنة على أنّ ""بودوان" كان يؤكّد مفهوم *النّظام* تأكيدا ينحطّ كثيرا عن درجة تأكيد "سوسّير" له، و[أنّه] كانت له، مقابل ذلك، عن الفرق بين *الأصوات والصّواتم* فكر أوضح من / فكر أستاذ "جينيف" ("باريانت"، ص 160). وقد ضبط "تروبتسكوي" نفسه ضبطا دقيقا ما يظنّ أنّه من فضل "بودوان" عليه ("*مبادئ*"، ص XXVIII، 4، م 1، 5) ولا سيّما ما يردّه عليه من تعريف للصّوتم مغرق في طابعه البسيكولوجيّ ("*مبادئ*"، ص XXVIII وخصوصا 10، ثمّ 41 - 42). 3·

ففي تحليل الصّوتم وتقديمه على نحو مفصّل لا يزال هذا المتصوّر عند "بودوان" محتفظا اليوم بأهمّيّة ابستيمولوجيّة عظيمة. فإصراره على الارتباط بالتّيّار النّفساني السّائد آنذاك، وعلى "تقديم اعتبار العامل البسيكولوجي في الظّواهر اللّغويّة جميعها" ("*محاولة*" (*)، ص 10) - كلّ هذا بديهيّ وكان كفيلا بالتّأثير في بحثه تأثيرا لا يربو عن تأثيره في بحث معاصره "سوسيّر". غير أنّ الأمر قد انتهى بأعماله في تعريف الصّوتم إلى الانحراف انحرافا أشدّ خطورة بفعل تكييفين آخرين. فهو، بادئ ذي بدء، يخلط، بإطلاق مصطلح الصوتيات النّفسيّة، بين دراسة ضربين من الظّواهر التصويتيّة : وهما من جهة أولى دراسة الأصوات التي يسمّيها *متناسقة* (ويسمّيها أيضا *منسجمة في لسان واحد مفترقة*) وهي تشير عنده إلى ما أحسن إدراكه من بديلات تعامليّة من صوتم واحد في الآنيّة - وصورته أنّ الفرق بين صوت

(*) "Versuch".

[ك] المهموس في قولهم "bec en argent" وصوت [ك] المتحوّل إلى مجهور ينزع إلى صوت [ڤ] في قولهم "bec de gaz" إنّما هو فرق لا قيمة تمييزيّة له، وأنّ هذين الصّوتين لا يمثّلان في الفرنسيّة إلاّ صوتا واحدا هو /ك/ (*) - ومن جهة أخرى أيضا دراسة ما يسمّيه الأصوات *المنسجمة* (*في لسان واحد*) *المتلازمة والمنسجمة* (*في ألسنة متعدّدة*) *المتناسبة* وهي مصطلحات يخصّ بها الأصوات التي هي الآن مختلفة في لسان واحد (قارن الصّائت الأماميّ نصف المنفتح [ɛ] بالفتحة [ـَ] في قولهم "sel" أي "ملح" وفي قولهم "salé" أي "مالح") أو في لسانين نسيبين ("sal" أي "ملح" في الإسبانيّة و"sel" في الفرنسيّة) لأنّ هذه الأصوات المختلفة في الآنيّة لها أصل مشترك في الزّمانيّة وهو الأصل اللاتيني "sal" في هذا المقام. ولمّا كانت توجد متلازمات ميّتة، أعني أنّها لم تعد منتجة في اللّسان (تناوب "sel" أي "ملح" ~ "saumure" أي "ماء أجاج للمصبّرات") ومتلازمات حيّة (قارن ب"knife" أي "سكّين"، "knifes" أي "سكاكين" وما إلى ذلك في الإنقليزيّة)، فإنّ "بودوان" يجمع في مصطلح واحد هو / الصّوتيّات النّفسيّة ظواهر من مشمولات إواليّات تحليل آنيّة وزمانيّة مختلفة وهي ظواهر تتصّل تارة بالتّكييفات الصّوتميّة وتارة أخرى بالتّكييفات الصّيغميّة المحض التي يقال لها تناوبات (**). ذلك أنّ وجود "laughs" أي "ضحكات" و"roofs" أي "سقوف" ووجود "staffs" أى "أجرف ج جرف" في الإنقليزيّة الحاليّة يبرهن على أنّ التّناوب الصّيغميّ "fe - ves" ليس مكيّفا تكييفا صوتميّا في الآنيّة. وعلى هذا المثل نقيس الأهميّة المنهاجيّة والنظريّة في تمييز "سوسّير" الآنيّة من الزّمانيّة، وهو تمييز يعصم صاحبه من

(*) من أمثلة ذلك في العربيّة الفرق بين صوت الدّال المجهور كما في مثل قولنا "سرد الخبر" وصوت الدّال الذي يفقد صفة الجهر وينزع إلى صوت التّاء المهموس كما في مثل قولنا "سردت الخبر" وبذلك يكون صوت الدّال قد خرج عن صورته التي تصفه بها الصّوتيّات معزولا وأدرج في سياق تعامليّ فماثل صوتا يليه في السّلسلة الكلاميّة بحكم الجوار الصّوتيّ ومن ثم فإن كلا الصّوتين إنجازان مختلفان لصوتم واحد هو /د/.

(**) من أمثلة التّناوبات المكيّفة تكييفا صوتميّا في العربيّة تناوب "ال" الشمسيّة "وال" القمريّة ذلك أنّ اللاّم في أداة التعريف هذه إذا دخلت على حرف شمسيّ ماثلت ذلك الحرف وضعّفته وبذلك يكون اختيار "ال" القمرية أو "ال" الشمسية رهينا بالشكل الصّوتي للوحدة التي تلابسها أداة التّعريف ؛ ومن أمثلة التّناوبات المكيّفة تكييفا صيغميّا في العربيّة حضور النّون في الأفعال الخمسة في المضارع المرفوع وغيابها في المنصوب والمجزوم فإنّ غيابها مثلا مكيّف بحضور "لن" أو لم".

الوقوع في الالتباس الذي كان يؤدّي إليه تصوّر "بودوان". (ولنشر إشارة عابرة إلى أنّ هذا الالتباس يبعث اليوم من جديد في إطار النّظريّات التي أعدّت إعدادا منقوصا أو ضئيلا للتّحليل الصّوتميّ الزّمانيّ وذلك في شكل الصّرفميّات التحويليّة التوليديّة).

ويلاحظ "هنري شوغت" أيضا، وهو الذي ندين له ببيان مفهوم الصّوتم عند "بودوان" على نحو واضح وحاسم، ملاحظة على قدر كبير من الإصابة وصورتها أنّه إلى جانب الضّغط الإيديولوجيّ الذي تسلّطه التّاريخانيّة (*) – والذي لم يتخلّص منه تماما سوى "سوسّير" – فإنّ بودوان يتعرّض في بحثه لضغط آخر مأتاه ممارسته الأولى للألسنة الصقلبيّة ممارسة لم يلحقها وهن ولا أصابها فتور. ولمّا كان تواتر التّناوبات الصّيغميّة الحيّة تواترا عظيم الأهميّة في نحو هذه الألسنة (ومثل ذلك تحوّل /ڤ/ /د/، وتحوّل /ك/ /ت/ وتحوّل /ز/ /س/، إلخ، في أصل الأفعال القياسيّة إلى /ج/ (**) وإلى /ت ش/ وإلى / ش/ وذلك أمام /ـِـ/ والياء المفتوحة فتحة ممالة /je/ و الياء المضمومة ضمّة منغلقة /jo/)، فإنّ "بودوان" يبيح لنفسه باستمرار أن يضمنّها *كلّها* صوتيّاته النّفسيّة حتى لو لم يكن التّناوب مكيّفا تكييفا صوتميّا وإنّما تقتضيه الصّيغميّة فحسب (فإنّ الكاف مع الياء المفتوحة فتحة ممالة : /k+je/ و /ك + يـِـ/ مثلا، من الأمور الممكنة كلّ الإمكان في كلمات روسيّة أخرى غير الأفعال التي تتحوّل فيها /ك/ إلى /ت ش/). وكما نبّه إلى ذلك "شوغت" فإنّ هذا الإجراء ربّما انتهى بنا في الفرنسيّة إلى اعتبار الصّوت المتألّف من الكسرة والفتحة الممالة [ie] في قولهم "*donnez*" أي "تعطون" / تناوبا لصوتم الفتحة الممالة /e/ في قولهم "*donn ez*" أي "تعطون" لأن تقابل هذين الصّوتين يصلح للإشارة إلى تقابل صيغميّ. والأدعى من ذلك إلى لفت النّظر هو أنّ "بودوان" يبقى دائم الإدراك لما يلاحظه من فروق في سلوك التّصويت، وهو

(*) "Historicisme"

(**) هذه الجيم هي الجيم الشّديدة التّعطيش، نجدها في عربيّة تونس وسوريا ولبنان وهي التي في كلمة "Pleasure" الإنقليزيّة.

يصفها في أغلب الأحيان مثلما تصفها الصّوتميّة اليوم، فهو يدرك تمام الإدراك ظاهرة الإبطال (*) في الأصوات الشديدة المجهورة الواقعة طرفا في الرّوسيّة دون أن يمكنه القطع برأيه في فصل التّكييفات الصّيغميّة المحض. وربّما أغرانا ذلك بتحميله تبعة في نجوم صعوبات لا انفكاك لعقدتها تورطّت فيها الصّوتميّة باستنباط "تروبتسكوي" لصرفميّة (أو موروفو فونولوجيا) ويعرّفها بأنّها دراسة استخدام الوسائل الصوتميّة للسان ما في الصّيغميّة" ("مبادئ" ص 377). غير أنّ "شوغت"، في هذا الموضع أيضا، مصيب في قوله إنّه ليس ينبغي لنا الشّطط في اعتبار هذه التّبعة لأنّ "كلّ جيل من اللّسانيّين يتحمّل مسؤولية تكرار هذا الخطإ إلى حدّ ما". وفي الحقيقة فإنّ "تروبتسكوي" لا يذكر "بودوان" في المقالة المذكورة التي يخصّصها للصرفميّة، ولعلّه من الأجدر أن يكون هذا المآل المتمثّل في الصّرفميّة مثلا شديد المناسبة عمّا يمكن أن يمارسه نظام اللّسان الأوّل للّسانيّ من ضغط على تحليلاته العلميّة، دون دراية منه، حتى عندما يكون راسخ القدم في اللّسانيّات وحتى إن هو أدرك هذا الضّغط حين يسلّط على الآخرين (كأن يندّد مثلا بالضّيم المترتّب على نقل التّرسيمة النّظاميّة للألسنة الهنديّة الأوروبيّة في وصف الألسنة الأمرنديّة أو الآسيويّة).

تلك هي ملامح "بودوان دي كورتناي" وأهمّيّته. فهو أيضا، شأنه في ذلك شأن كل مبتكر، يقدّم لمن يعيد مطالعة كتاباته ثروة طائلة من التّفاصيل تثير دهشتنا كأنّما هي حدس فيما يثير اليوم اهتمامنا، وهي تظلّ برهانا على مدى طرافته وإن لم تكن أصلا يرجع إليه. وإنّ ما قاله في شأن استعمال الإحصائيّة والرّياضيّات أو ما قاله في شأن / مفهوم الاقتصاد في اللّسانيات لحريّ بأن تعاد قراءته. 3

ولا ريب في أنّه لم يسمع له وقع خارج "روسيا" مثلما لاحظ ذلك

(*) الإبطال الصّوتميّ هو إلغاء تقابل صوتمين في مواقع معلومة من السّلسة الكلاميّة : من ذلك إلغاء تقابل الجيم والشّين في قولنا : اجتمع" وهو ما ينطق "اشتمع"، في واقع الأمر، بينما يستمرّ هذا التّقابل في مواقع أخرى. فإنّ تقابل صوتمي الشين والجيم يصلح لتمييز "جاب" من "شاب" مثلا.

"سوسّير" و"تروبتسكوي" وحتّى "مايّي". ولئن كان من المبالغ فيه أن نتحدّث عن مدرسة" قازان" اللّسانيّة أو عن حلقتها اللّسانيّة إلاّ أن يكون ذلك لتخصيص جملة ما كتبه "كروسفسكي" و"بودوان" من سنة 1875 إلى سنة 1883، فإنّه لمن تمام الصّواب أن نتحدّث مقابل ذلك عن مدرسة "بيتروغراد" حيث درّس "بودوان" من سنة 1901 إلى سنة 1918، وحيث تتلمذ له تلامذة ذوو مكانة رفيعة وصيت ذائع أهمّهم "شيربا". وقد نشر هذا الرّجل سنة 1912 "ببطرسبورغ" دراسة حول الصّوتم ما انفكّ "تروبتسكوي" يجادلها بقلمه، إلى سنة 1939، مجادلة لعلّ فيها بعض المغالاة. وأمّا مشكل العلاقة بين أثر "بودوان" وأثر "تروبتسكوي" وهو المشكل الوحيد الذي لم نخض فيه من بين المشاكل المتعلقة بالرّجل الأوّل، فإنّا سنتناوله طبعا في الفصل المخصّص للثّاني.

أنطوان مايّي"

38. ولد "أنطوان مايّي" (1866 - 1936) "بمولين" في عائلة كاتب عدل. اختلف إلى "المدرسة التّطبيقيّة للدّراسات العليا" (*) منذ سنة 1885، فدرس الألسنة الصقلبيّة، واللّسان الإيرانيّ والسّنسكريتيّة والإيرلنديّة والألسنة الرّومنيّة والنّحو المقارن. وأقام "بالقوقاز" سنة 1890 فعني بالأرمينيّة مبكّرا ودرّس هذا اللّسان في "مدرسة الألسنة الشّرقيّة" بين سنتي 1902 و 1906. وفي أثناء سنة 1889 - 1890 عندما اضطرّ "سوسّير" إلى الاستئذان في عطلة مرض عوّضه "مايّي" نائبا عنه وقد حضر دروسه منذ عامين "بالمدرسة التّطبيقيّة للدّراسات العليا"؛ ثمّ خلفه سنة 1891 مديرا للدراسات حين عاد "سوسّير" نهائيّا إلى "جينيف" وتولّى هذا المنصب حتّى سنة 1927 وهو تاريخ تخلّيه عنه لتلميذه "بنفينيست" مثلما كان تخلّى عنه "بريّال" "لسوسّير" عند بلوغه سنّ الخمسين سنة 1882. غير أنّه واصل إلقاء محاضراته بالـ"م.ت.د.ع." مجّانا. وكان قد عيّن سنة 1905 أستاذا بمعهد فرنسا (**) وقد تولّى فيه قبل ذلك عمل نائب سنة 1899 - 1900. فكان يخلف فيه أستاذه "ميشال بريّال" (1832 - 1915) وهو أستاذ ينبغي ألاّ نستهين بتأثيره فيه - وربّما كان حقيقا بدراسة في نطاق عمل يؤرّخ للّسانيّات العامّة بصورة أكثر تفصيلا من هذا العمل -، رغم أنّ الأستاذ الذي لهج "مايّي" نفسه بذكر فضله العظيم عليه مرارا وتكرارا هو "سوسّير". ثمّ إنّه

39. غادر المعهد / سنة 1932 حيث خلفه "بنفينيست". واهتمّ أيضا، وهو المفلوج الذي يكاد يكون كفيفا بأطروحة أخيرة هي أطروحة "أندري مارتيناي" عن *"تضعيف الصّوامت التّاجم عن أصل تعبيريّ في الألسنة الجرمانيّة"* (***) غير أنّه لم يشرف عليها.

(*) "L'Ecole pratique des Hautes Etudes" واختصارها في العربيّة "م.ت.د.ع"

(**) "Collège de France"

(***) La gémination consonantique d'origine expressive dans les langues germaniques

ولو اعتبرنا حياته الخاصّة لألفيناه مثقّفا، معتنقا لاعتقادات ما قبل سنة 1914 وهي اعتقادات تحرّريّة راسخة ذات منزع اشتراكيّ. وهو رجل رصين، جسور (لا ينقاد للتّعصّب الرّائج على العلم الجرمانيّ أثناء الحرب العالميّة الأولى)، مولع بالموسيقى. وأمّا من حيث هو أستاذ فإنّه وإن كان خافت الصّوت يؤثر قاعة من القاعات الصّغيرة "بمعهد فرنسا"، فهو مرشد فكريّ طويل الباع واسع الذّراع. إذ هو يؤطّر البحث في الهنديّة الأوروبيّة واللّسانيّات العامّة ويوزّع قطاعات الاستكشاف على مختلف تلاميذه توزيعا يقرّره بنفسه (وعلى هذا النّحو فإنّه أعاد توجيه "أورليان سوفاجو"، وهو مختصّ شابّ في الجرمانيّة في العشرين من عمره، إلى ميدان الفنلنديّة الأوغرية الذي كان موت "غوثيو" قد أخلاه منذ وقت قريب). وهو يشرف على بحوث الأطروحات متتبّعا إيّاها في أدقّ جزئيّاتها، ويستقبل تلاميذه من السّاعة التّاسعة إلى السّاعة الثّانية عشرة من كلّ يوم يكون فيه متفرّغا. وحسبك قراءة ما كتب حتّى تتذوّق اليوم، وربّما اليوم على نحو أخصّ، البيان في فنّ العرض عنده وتأنّقه الجليّ فيه، وفي إيجاز، أسلوبه العلميّ الرّائع في ذلك. ثمّ إنّه يهيمن على نصف قرن من النّشاط اللّسانيّ بفرنسا كوّن خلاله الجميع تقريبا أو أثّر فيهم : "إرنو" و "غوثيو" و "فندرياس" و "غرامّون" و "شنتران" و "بنفينيست" و "مارسيل كوهين" و "أورليان سوفاجو" و "ميشال لوجون" و "مارتيناي" وذلك بغضّ النّظر عن الأجانب من أمثال "كوريلوفكز" و "سومّرفلت" و "يالمسلاف" و "بروندال" و "دوفوتو". وقد طبّق الآفاق ذكره حتّى تحدّث النّاس حقبة طويلة عن مدرسة سوسيولوجيّة فرنسيّة منسوبة إلى "مايّي" بلغ سلطانه عليها من الجلاء للعيان أنّه كان يحجب تأثير "سوسّير" وهو تأثير أكثر عمقا وأشدّ تجذّرا، وهذا رغم أنّ "فندرياس" أنكر " أن توجد مدرسة لسانيّة فرنسيّة تزعم أنّ لها فضلا يختصّ بها كلّ الاختصاص". وقد بلغ من ذيوع الصّيت أيضا أنّ "إيشاف - سوستاتا" عندما أضاف خاتمة إلى ترجمته الإسبانيّة لمصنّف / "تومسن" في تاريخ اللّسانيّات سنة 1945، كان يقدّم مثاليّة "فوسلر" و"المدرسة السّوسيولوجيّة الباريسيّة" على أنّهما التّيّاران

40

المجاريان للعصر المجدّدان لفننّا في ذلك العهد. ولم تكن النّظرة مختلفة اختلافا محسوسا في باريس نفسها.

وإذا أغفلنا إغفالا فيه شيء من الاعتباط نشاطه العظيم باعتباره مختصًا في النحو المقارن، وهو نشاط ما انفك يغذّي تفكيره النّظريّ طبعا، فإنّ "مايّي" يمثّل أوّلا بداية فنّ جديد متميّز عن فلسفة اللّغة القديمة تميّزا منهجيًا، وهو فنّ يطلق عليه اسم اللّسانيّات العامّة منذ درسه الافتتاحيّ بمعهد فرنسا سنة 1906. وجماع فكره في هذا المجال يتألّف من مقالات تكاد تكون مجموعة في المجلّدين اللّذين عنونهما *"باللّسانيّات التاريخيّة واللّسانيّات العامّة"* (لاحقا : *"ل.ت.ل.ع"*، السّفر الأوّل، الطّبعة الأولى، مكتبة "شامبيون"، 1921؛ إعادة نشر، كلينكسياك، 1926 ؛ السفر الثّاني، الطبعة الثانية 1936 ؛ سحب جديد، كلينكسياك، 1951 [1952]). ونقول على وجه التقريب : إذ إنّه من المفيد دائما أن نضيف إلى تلك المقالات الدّراسة الجامعة التي قام بها قبيل وفاته في السّفر الأوّل من *الموسوعة الفرنسيّة* المنسوبة إلى "آناتول دي مونزي" (وهذه الدّراسة هي : "البنية العامّة في الظّواهر اللّغويّة"، الورقات 1. 32-10/1) ؛ وكذلك الكثير من المقالات أو التّقارير البليغة طوالا كانت أو شديدة الإيجاز منها الملاحظات القصيرة الرّائعة التي تنمّ عن عبقريّة في شأن الكتابة وذلك في عرض موجز متعلّق "ببودوان دي كورتناي" (ن.ج.ل (*)، 1912-1913) ولا سيّما في بضع صفحات عنوانها "اللّسان والكتابة" "(*العلم*، (**) XXVI، 1919، عدد 12، ص. 290-293) : وهذا غيض من فيض.

ولا شكّ أنّه في هذا النّهج الذي سلك وارث لسنّة فرنسيّة أرسخها "بريّال" وثبّت أركانها : ذلك أنّ "بريّال" وقد رفض رفضا شديدا الخليط

(*) ن.ج.ل : اختصار لاسم النّشرة الموسومة "بنشرة جمعيّة اللّسانيّات" Bulletin de la société "linguistique"

(**) "Scientia"

اللاّشرعيّ من المنطق واللّسانيّات المتمثل في نحو "بور رويال" *العامّ والاستدلاليّ* (*) من جهة، وقد نبذ المغامرة الماورائيّة في النّحو المقارن الألمانيّ من جهة أخرى، لم يكن عدل قطّ عن العودة إلى نظرة تأليفيّة تتناول أشمل القوانين التي تحكم اللّغة وذلك على أسس أخرى (ذات بال من النّاحية الابستيمولوجيّة) / (راجع مونان، *"تاريخ اللّسانيّات"*.، ص 218-219). ص41

وإنّ الخطوط الكبرى في تصوّر "مايّي" للّسانيّات العامّة لهي خطوط شديدة الوضوح. فهو يرى، بادئ ذي بدء، أنّ هذا البحث عن "النّزعات" الأشدّ كلّية مثلما يقول هو في أحيان كثيرة، أو عن أشمل خصائص اللّغة هو بحث من نوع تاريخيّ في جوهره. فالأمر يتعلّق خصوصا ببيان أسباب *التّغيّر* اللّغويّ وتجميعها. وتلك كانت أيضا سنّة "بريّال" التي سلكها عن وعي، فقد كان هذا الرّجل الذي استشهد به "مايّي" نفسه يعرض قاعدته النّفيسة على النّحو التّالي : "إنّما أدرس الأسباب الفكريّة التي سيّرت *تحوّل* الألسنة."

غير أنّ الطّابع المهيمن على هذه اللّسانيّات العامّة هو ما يمكن تسميته بسوسيولوجيّتها (**). فقد كان "بريّال" يعارض مغالاة النّحاة الجدد الذين يرون أنّ تطوّر الأصوات كلّه محكوم بقوانين فسيولوجيّة وبسيكولوجيّة آليّة، فكان يذكّر بأنّه، في شرح التّغيّرات اللّغويّة، "لا بدّ أن يوجد على الدّوام مجال لاعتبار ماضي شعب ما، ومجال آخر لاعتبار نموّه الفريد "(راجع درسه *الافتتاحيّ* بالمعهد سنة 1867). وكان "مايّي" نفسه لا يفوته التّذكير بأنّ أستاذه "يشرح فعلا ظواهر اللّسان بحياة الإنسان في المجتمع" (*ل.ت.ل.ع*، II، ص 223) وأنّ "ظواهر المعجم عنده تعكس ظواهر الحضارة" (*في الموضع نفسه*، ص 224). فالتّوجّه السّوسيولوجيّ عند "مايّي" سابق لاتّصاله "بدوركايم" الذي دعاه إلى المساهمة في "الحول السّوسيولوجيّ" (***) بدءا من سنة 1901 ووفّر لفكره إطارا نظريّا أمتن : إذ اللّسان جزء من الظّواهر

(*) Grammaire générale et raisonnée

(**) سوسيولوجيّة : "Sociologisme"

(***) L'Année sociologique"

الاجتماعيّة يجلّي سماتها النّوعيّة ويجلّي طابعها الخارج عن الفرد وكذلك طابعها القسريّ، فيؤكّد "مايّي" حينئذ "وجود عنصر تحدث ظروفه تنوّعات دائمة [في الألسنة] تكون فجائيّة حينا / بطيئة حينا آخر، ولكنّها لا تنقطع البتّة انقطاعا كلّيّا : وهذا العنصر هو بنية المجتمع". فأطروحته هي أنّ "اللّغة ظاهرة اجتماعيّة كأتمّ ما تكون عليه الظّواهر الاجتماعيّة" وأنّ المهمّة الكبرى المنوطة بعهدة اللّسانيّات العامّة هي "تحديد البنية الاجتماعيّة التي توافق بنية لغويّة محدّدة" (*ل.ت.ل.ع.*، I، ص 16 - 18). وقد أفضى به هذا الأمر، لا سيّما في مقالة برنامج عنوانها "كيف تتغيّر معاني الكلمات" (*ل.ت.ل.ع.*، I، ص 230-271) إلى أن يحلّل تحليلا جيّدا الرّوابط التي تجمع بين الأوساط أو الطّبقات أو الشّرائح الاجتماعيّة وبين اللّهجات "الاجتماعيّة" (داخل لسان بعينه) وكذلك العوامل التّقنيّة والاقتصاديّة والعوامل السّوسيولوجيّة المجهريّة (*) في الاستنباط المعجميّ والتّبدّلات التي يكون المعجم عرضة لها عندما ينتقل من وسط إلى آخر وتلك هي ظاهرة "الاقتراضات الاجتماعيّة". وتحظى عنده اقتراضات لسان ما من لسان آخر بالعناية نفسها : ذلك أنّ "مايّي" ليس أقلّ التفاتا إلى احتكاك الألسنة، فهو من الأوائل (مع "شوشارد" وبعده) الذين عنوا بالظّواهر اللّغويّة المترتّبة على ازدواج اللّسان (راجع *"الألسنة في أوروبا الجديدة"*، 1918، الطّبعة الثانية بالتّعاون مع "تاسنيار"، 1928؛ راجع أيضا "ازدواج اللّسان" [1933] في *"محاولات"*، وراجع أيضا "ازدواج لسان المثقّفين" بالتّعاون مع "أورليان سوفاجو"، *محاضرات معهد اللّسانيّات*، II، 1934). ورغم ما لمثل هذه البحوث من أهميّة وما لها من إسهامات، فلا بدّ، مع ذلك، من تأكيد طابعها الهامشيّ في نطاق نظريّة لسانيّة. فهي تهذّب دلاليّة تاريخيّة هي في حاجة ماسّة إلى ذلك غير أنّها باقتصارها على تناول العوامل الخارجيّة في التّغيّر اللّغوي وحده، تغفل أيّما إغفال حركيّة المجرى اللّغوي الدّاخلية حتّى في

42ب

(*) "Facteurs microsociologiques"

الدّلاليّة. وهي لا توضّح أيضا العلاقة الأساسيّة بين اللّغة والمجتمع عندما تجتزئ بتقرير عمل المجتمع في اللّغة مقتصرة في ذلك أو تكاد على ميدان المعجم وحده.

وكان "مايّي" مستمراً على يقينه (راجع رسالته إلى "تروبتسكوي" بتاريخ الخامس والعشرين من كانون / الأوّل - ديسمبر سنة 1930) بأنّ 43
جوهر تصوّره السّوسيولوجي للّغة لا يرجع الفضل فيه إلى "سوسّير" الذي كان يؤكّد أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة (دروس، ص 29)، و"مؤسّسة اجتماعيّة" (دروس ص. 26). وإنّما فضل، سوسّير" عليه - وهو يقول ذلك ويكرّره جهارا - هو في مفهوم آخر أشدّ اختصاصا "بسوسّير"، ينظّم فكره اللّسانيّ وقوامه فكرة أنّ اللّغة نظام وأنّ "كلّ لسان يكوّن نظاما" (*ل.ت.ل.ع.*، I، ص 83). وهو يقابل خصب هذه الفكرة الجديدة في اللّسانيّات عصرئذ بالممارسات السّابقة حيث كانت كلّ ظاهرة لغويّة (تأثيل كلمة إغريقيّة، حضور "s" [ز] في كلمة ما يفترض أن تقابلها "r" في الأصل اللاّتينيّ كتلك التي في كلمة "chaise" أي "كرسيّ"؛ إطباق اللاّم "l" التي تصير [ۏ] بعد "a"، غير أنّها لا تصير كذلك بعد "i" أو "e" في لهجة بعض القرى الأوفرنيّة (*)) لا يخلو حالها من أمرين : إمّا أن تدرس معزولة أو أن تفضي إلى "تقريبات" متحسّسة أو مجازفة وهو ما كان يؤدّي إلى "سيل من الشّروح" (*ل.ت.ل.ع.*، I، ص 7)، وصفوة القول إنّ ذلك يؤدّي إلى ما سمّاه "تروبتسكوي" باللّسانيّات *المذرورة* (**) وهي ضديدة لبحث منهجيّ عن أشمل القوانين المتاحة في خصوص اللّغة.

وما من أحد يشكّ في أنّ "لسوسّير" على "مايّي" فضل المفهوم المفتاح وهو مفهوم النّظام الذي يظلّ يعرّفه بأنّه مجموعة "محكمة التّناسق يتماسك فيها كلّ شيء" (*ل.ت.ل.ع*، II، ص 158). ولكن هذا هو تعريف قاموس

(*) "Villages auvergnats" نسبة إلى منطقة "أوفيرني". "Auvergne" بفرنسا.
(**) "Linguistique atomisée"

"*ليتري*" (1863-1873) وهو تعريف ينحدر من القرن الثّامن عشر، لا يبيّن طرافة المتصوّر الثّوريّة عند "سوسّير". وتدلّ كلمة نظام في المقام الأوّل، عند هذا الرّجل، على أمرين مختلفين اختلافا شديدا من النّاحية النّظريّة وذلك في "*المذكّرة حول نظام الصّوائت البدائيّ في الألسنة الهنديّة الأوروبيّة*" (*) (1879) : فتدلّ تارة على لوحة تبويب (صوتيّ في الغالب) لوضع عليه لسان ما أو على ترسيمة هذا التّبويب، وتدلّ تارة أخرى على لوحة قواعد الانتقال من وضع عليه لسان ما إلى وضع آخر أو على ترسيمة هذه القواعد وهو المعنى القديم للكلمة منذ صدور مصنّف "بوب" "*نظام التّصريف*" (**) سنة / 1816. وحتّى في الحالة الأولى فإنّ التبويب يمكن أن يكون صوتيًا 44ب على نحو سطحيّ (كأن تكون في لسان ما ثلاثة صوامت شديدة مهموسة هائيّة وصامتان احتكاكيّان وصامتان بين الشّدّة والرّخاوة، إلخ.) فطرافة "سوسّير" في هذا الشّأن هي في البحث عن ترتيب لا يكون فيزيائيًا مؤسّسا على الخصائص النّطقيّة في الأصوات وإنّما يكون مؤسّسا على خصائصها التّمييزيّة لأنّها وظيفيّة في لسان معيّن. وهذا الأمر نظفر به <لدى "سوسّير"> منذ سنة 1879 في *المذكّرة* ولكنّنا نظفر به عنده خصوصا في *الدّروس* سنة 1916. وإنّ "مايّي" لم يتبيّن قطّ عند "سوسّير" الشعور الحدسيّ لمعنى كلمة *نظام*، ذاك الذي سيزدهر في صوتميّة "تروبتسكوي". فما يعجب به وما يشيد به عند "سوسّير" هو *المذكّرة* وليس *الدّروس*. *والمذكّرة* يظلّ قائما فيها مفهوم النّظام باعتباره لوحة تصف مجموعة قواعد الانتقال من وضع يكون عليه اللّسان إلى وضع آخر - أي إنّ فيها أداة اللّسانيّات التّاريخيّة المستحكمة وليس تباشير الأداة الحديثة الكبرى للّسانيّات العامّة في القرن العشرين.

وبذا ندرك أسباب ما يحسّ به اليوم إحساسا شديدا من أنّ لسانيّات "مايّي" *العامّة* لا تواكب حقّا، ولا تواصل ولا تطوّر على نحو مباشر لسانيّات

(*) Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes

(**) Konjugationssystem

"سوسّير"، بل بضدّ ذلك فإنّها قد حجبت بريقها. وكذلك ما نحسّ به اليوم من أنّ فكر "سوسّير" - والصّوتميّة لاحقا - لم يلج الفكر اللّسانيّ الفرنسيّ إلاّ على نحو بطيء جدّا وهذا رغم حضور تلميذه ونشاطه بباريس. وفي مستوى أعمّ فيما يتعلّق بتاريخ العلوم وتناقل المعرفة فإنّ وضع "مايّي" و "سوسّير" يجسّم كذلك حقيقة أنّه لا يوجد ضرورة ورثة طبيعيّون في مجال العلم : فرغم التفاف ثلّة عظيمة من المريدين حول "مايّي" فإنّ "سوسّير" يورث أوّلا في "براغ" "وكوبنهاغ" أكثر ممّا يورث في "جينيف" و "باريس".

وليس من أقلّ الأمور غرابة أن يبدي "مايّي"، وقد أصابه ما يشبه الصّمم في خصوص الجوهر الأكثر طرافة من دروس "سوسّير"، على النّقيض من ذلك / "لتروبتسكوي" موقف المصغي الفهّامة. فرسالتا "مايّي" إلى 45ب "تروبتسكوي" (المؤرّختان في سنتي 1929 و 1930) اللّتان نشرهما "كلود حجاج" هما وثيقتان نفيستان بالنّسبة إلى تاريخ الفكر، إذ كتب يقول : ("إنّ [غرامّون] مثلي لم ير في "سوسّير" إلاّ مختصّا في النحو المقارن [...] وقد دهشت أيّما دهشة لمّا رأيت "ف.دي سوسّير" يؤكّد طابع اللّغة الاجتماعيّ : ذلك أنّي كنت توصّلت إلى هذه الفكرة بنفسي وبفعل تأثيرات أخرى"). ولكنّهما أيضا شهادتان مؤثّرتان على حبّ الاطّلاع الفكريّ؛ ولا شكّ أنّ "حجاج" لم يخالف وجه الصّواب حين رأى أنّهما "تبينان عن انفتاح ذهن رجل حال دون ذهابه بعيدا في مجال الصّوتميّة جيله ومهامّه العديدة وكذلك أسباب صحّيّة فيما يبدو" (*اللّسانيّات*، 1967/ 1؛ ص 110؛ والرّسالتان تقعان في ص 117). ولنلاحظ مع ذلك أنّ "موريس غرامّون" - وهو قرين "لمايّي" في الدّراسة وصديق قديم يبدو أنّ "مايّي" في رسالته الثّانية عوّل عليه في ربط صلة بين المدرسة الصّوتيّة الفرنسيّة والصّوتميّة النّاشئة - لم يقض له هذا الأرب (راجع نقاشه "لمارثيناي"، الفهرست أسفله).

إنّ "مايّي" شأنه شأن كلّ مفكّر وباحث مثقب يقدّم اليوم أيضا للّسانيّ الفطن الضّليع ثروات طائلة مبثوثة في أنحاء مختلفة لا جرم أنّ الظّفر بها هو ثواب القارئ النّشيط. وإنّ ما أسماه "لمحة عن نموّ النّحو المقارن" (في مصنّفه

"مدخل إلى الدّراسة المقارنيّة للألسنة الهنديّة الأوروبيّة"، "باريس"، :هاشيت"، الطّبعة الأولى، 1903؛ الطبعة الثّانية : مراجعة ومزيدة، ص 407 - 441) ليظلّ بالمطالعة قمينا. ولن نذكر في هذا المقام إلاّ كنزا آخر من كنوزه لأنّه لم يلتفت إليه، عمليًا، أحد. فاشتغال "مايّي" بعلم التّركيب أمر يعرفه النّاس تمام المعرفة. غير أنّ "بولالي" مصيب في تأكيد المحلّ الرّفيع الذي كان يُحلّ فيه بنية الجملة *باعتبارها منطلق* البحث في هذا الشّأن. ولاريب أيضا في أنّ قرّاءه / يعرفون حقّ المعرفة "ملاحظاته في نظريّة الجملة" التي يستهلّ بها السّفر الثاني من *"ل.ت.ل.ع"* (ص 1-8). وإنّما في غير هذا الموضع قدّم "مايّي" أوّل أبرز حدّ شكليّ وبنيويّ موضوعيّ إن لم يكن حقّا إجرائيًا على نحو مطلق : أعني حدّ هذا المتصوّر الرّئيسيّ في اللّسانيّات الحديثة (التي يمكن أن نقيس فيها من جهة أخرى الضّعف النّظريّ عند المفكّرين الذين يتّخذون *سلفا* من مفهوم الجملة مصطلحا أوّل غير معرّف). فقد كتب "مايّي" يقول : "إنّ الجملة يمكن أن تعرّف بأنّها مجموعة التّقطيعات المتّصل بعضها ببعض بواسطة علائق نحويّة والقائمة بنفسها : إذ هي لا تتبع من جهة النّحو أيّة مجموعة أخرى". ويكفي أن نذكر هذا الاستشهاد الضّائع في *"المدخل إلى الدّراسة المقارنيّة"* (الطّبعة الثالثة، 1912، ص 339)، حيث سعى إلى طلبه نزر قليل من اللّسانيّين، لنتبيّن فضله على بلومفيلد" : "إن كل جملة هي صيغة لغويّة مستقلّة لا تتضمّنها صيغة لغويّة أوسع منها بمقتضى بناء نحويّ ما" (*اللّغة* ص 161-162). وإنّ "بلومفيلد" الذي اشتهر بميسم ملازم لطبعه وهو شدّة طموحه إلى إظهار طرافته دوما، يقرّ في هذا الشأن بفضله عليه إقرارا مؤكّدا فيكتب [في خصوص الجملة] قائلا : "لنفكّر في بساطة تعريف "مايّي" ونفعه وهو التّعريف الذي سنعتمده أسفله" (*مجموعة مصادرات لعلم اللّغة* (*)، مجلّة *[اللّغة]* (**)، 2، 1926، ص 153-164؛ والأمر يتعلّق بالمصادرتين السّادسة والعشرين والسّابعة والعشرين وهما تنحطّان كثيرا في درجة وضوحهما عمّا يذكره كتاب *اللّغة*) (***).

ص46

(*) "A Set of Postulates for the Science of Language"

(**) [اللّغة] : عنوان مجلّة "بلومفيلد" الأمريكيّة. وتشير لفظة اللّغة الواردة بين معقّفين إلى ترجمة عن الإنقليزيّة.

(***) اللّغة "Langage" : عنوان مصنّف "لبلومفيلد" وهو كذلك عنوان مصنف "لإدوارد ساپير".

"فرديناند دي سوسّير"

ص48 إنّا نعرف اليوم حياة "سوسّير" (المولود "بجينيف" سنة 1857) حقّ المعرفة إلاّ أمرا واحدا فيها : فنحن نعرف نبوغه المبكّر ومقامه "بلايبزيغ" و"برلين" (1876 - 1878) حيث اتّصل بأساتذة ذلك العصر في اللّسانيّات التّاريخيّة؛ ونعرف مكوثه الطّويل "بباريس" مديرا للدّراسات "بالمدرسة التّطبيقيّة للدّراسات العليا" (1880 - 1891) حيث كوّن تقريبا كلّ من سيعدّ من المختصّين الفرنسيّين في النحو المقارن، ثمّ إنّا نعرف رجوعه إلى "جينيف" حيث درّس بالجامعة من سنة 1891 إلى سنة 1913 ؛ وهنا مكمن المشكل الوحيد في سيرته : ذلك أنّ "سوسّير" الرّجل النّشيط الغزير العلم "بباريس"، يعتزل النّاس أكثر فأكثر "بجينيف" فيما يشبه الصّمت التّامّ ولا يكتب إلاّ قليلا كأنّما هو مصاب بكراهة المراسلة، ويبعث إلى "مايّي" منذ سنة 1894 برسالة تنمّ عن قنوط فكريّ. وقد سعى "مايّي" نفسه إلى شرح مركّب القصور عن استكمال العمل هذا، وهو مركّب يكاد يكون مرضيّا يصيب أعمال "سوسّير" "بجينيف"، فعلّل ذلك بأنّ رغبة في إتقان العمل تستبدّ بهذا الباحث الحريص على ألاّ يقدّم للنّاس من علمه شيئا إلاّ تامّا غير منقوص. وعلى العكس من ذلك يذهب "بنفينيست" و"دي مورو" إلى أنّ همّة "سوسّير" قد خمدت لمّا رأى أنّ البصائر عميت عن فهمه، وهو الأمر الذي كان يتوقّعه أو يتبيّنه مذ كان ينوي إطلاع أصفيائه على فكره الثّوريّة التي تجلّت في دروسه في اللّسانيّات العامّة في سنوات 1906 - 1911. وإنّ كاتب هذه السّطور بعد أن عرض هاتين الفرضيّتين في مصنّفه "سوسّير" (*) (نشر "سيغر" 1968) قد تلقّى من "سويسرا" و"باريس" شهادتين توحيان / بتعليلات أخرى 49

(*) عنوان المصنّف كاملا "سوسّير أو البنيويّ قبل الأوان" "Saussure ou le structuraliste sans le savoir".

ممكنة لعلّ "بنفينست "كان يشير إليها (1) منذ سنة 1963 وهي تعليلات غير متناقضة:زواج انعدم فيه الاتفاق والوئام بين ظهراني علّيّة قوم ما كانوا ليبسّروا بحثه العلميّ، وإدمان خمر لعلّه استحال داء غالبا ولكنّه ظلّ أمرا مخفيًا ما كان ليخطر عموما ببال أهل "جينيف" (إن أنا احتكمت إلى شهادة طالب من طلبة <"سوسّير"> في العام الأخير أثناء حديث أفضى به إليّ عن طيب خاطر). ولعلّ الأيّام تبدي لنا ما نجهله من هذه الأمور. وقد توفّي "سوسّير" سنة 1913 بسرطان في الحلق فيما يبدو.

لم ينشر "سوسّير" في حياته سوى مصنّفين هما : مصنّف *"مذكّرة حول نظام الصّوائت البدائي في الألسنة الهنديّة الأوروبيّة"* (لا يبزيغ، نشر "توبنر"، 1879 [كانون الأوّل - ديسمبر 1878]) الذي ضمن للعالم الفتيّ في الحادية والعشرين من عمره ذيوع صيته في العالم أجمع، وهو صيت حظي به إلى حين وفاته وحتى بعد ذلك؛ ثمّ أطروحته للدكتوراه حول المضاف إليه المطلق في السنسكريتيّة (جينيف 1881). وكلّ ما عدا ذلك نشر بعد مماته إلاّ سلسلة من المذكّرات والمقالات والملاحظات التي ظلّت تتباعد في زمن ظهورها أكثر فأكثر، وقد جمعت بعد وفاته في مجموعة *منشورات "سوسّير" العلميّة* ("جينيف"، نشر "سونور"، وهايدلبيرغ : نشر ك، وينتر"1922) وهو مجلّد قلّ الالتفات إليه حتى إنّ المكتبات الجامعيّة لا تتوفّر كلّها عليه؛ومن ذلك مقالة مسهبة عن "ويتناي" أعدّت بمناسبة وفاة هذا الرّجل سنة 1894 لم يتمّها سوسّير" قطّ، وقد بقيت لنا منها سبعون صفحة من الملاحظات. أمّا مصنّف *"دروس في اللّسانيّات العامّة"* فقد حرّره، مثلما هو معلوم، "باليّ" و"سيشهاي" نقلا عن تقييدات الطّلبة للدّروس (باريس ولوزان، بايو، 1916). وأخيرا فقد عثر على ثمانية عشر كرّاس أعمال عن أساطير *"النيبلونغن"* (*) ومائة واثني عشر كرّاسا حول البحوث التي تولّى "سوسّير"

---

(1) إنّ لغزاما يحفّ بحياته الشّخصيّة التي سرعان ما دخلت طيّ الكتمان [...]. وهذا الكتمان يضمر فاجعة [...] تعود في جانب منها إلى ظروف شخصيّة لعلّ شهادات إخوانه وأهله الأقربين تنيرها بعض الإنارة ("مشاكل"، ص. 33 و 37).

(*) "La mythologie des Niebelungen" : "والنّيبلونغن" هو اسم جماعة من الأقزام ذكرتهم الأساطير الألمانيّة.

إدارتها في سنوات 1906-1909 وهي بحوث فيما كان يسمّيه القلب
ص50 / الترتيبيّ وقد فرغ "ستاروبنسكي" من "نشر أكثر القطع وضوحا فيها
("*الكلمات تحت الكلمات*"، نشر "غاليمار" 1971).

و كان مذهب "سوسّير" يملأ الدّنيا ويشغل النّاس سنة 1972. ونحن نعلم ما يمكن أن يدين به من فضل للسّوسيولوجيّة المحيطة ممثّلة خصوصا في "دوركايم" ولعلم العقليّات الجماعيّة عند "تارد". وقد بيّن باحث شابّ هو "جان مولينو" أنّه مذهب غذّاه الاقتصاد السّياسيّ السّويسريّ القديم عند "والرا" وذلك على نحو يفوق ما كنّا نتصوّره. وهو يقوم على سلسلة من التّمييزات عزاها النّاس إلى "هوسه بالثّنائيّات". ولئن صحّ أمر الهوس فإنّ "سوسّير" كان يعيه تمام الوعي، فقد كتب يقول : "إنّ اللّغة قابلة لأن تردّ إلى خمس ثنائيّات أو *أزواج من الأشياء* أو ستّ" (إنغلر، السّفر الأوّل، ص 27).

فأوّلها مقابلة المؤسّسات الاجتماعيّة كلّها بالعلاميّة والعلاميّة نفسها تعتبر سلسلة من المؤسّسات الاجتماعيّة أيضا ومجموع كلّ أنظمة العلامات ومحصّل ملكة التّواصل الكونيّة. وتتمثّل الطّرافة ههنا، في آن واحد، في تأكيد ما تتشابه فيه كلّ هذه المؤسسات الاجتماعيّة مثلما يفعل "دوركايم" وتأكيد ما تختصّ به أنظمة العلامات كلّ الاختصاص. وهذا الموقف فريد في السّوسيولوجيّة اللّسانيّة وقتئذ.

أمّا المقابلة الثانية فهي مقابلة تقوم بين العلاميّة واللّغة، باعتبار اللّغة جماع وجهات النّظر (الفلسفيّة والسّوسيولوجيّة والبسيكولوجيّة والفسيولوجيّة إلخ.) التي يحقّ لنا أن ننظر من خلالها لدراسة ملكة الكلام عند البشر.

والثنائيّة الثالثة تقابل اللّغة المعرّفة على هذا النّحو العامّ بكلّ لسان من الألسنة البشريّة على نحو خاصّ. وكلّ أداة لغويّة هي بدورها مطبوعة بتقابل اللّسان بالمعنى المقيّد، وهو الكنز الاجتماعيّ من الوحدات والقواعد
5 المختزلة في / نظام والمختصّة بمجموعة المتكلّمين، والكلام الذي هو ظاهرة فرديّة وإنجاز متغيّر من متكلّم إلى آخر في حدود التّفاهم. واللّسانيّات هي

دراسة اللّسان وليس بدراسة الكلام.

وفي اللّسان نفسه ينبغي تمييز التّجمّعات التّرابطيّة *الغيابيّة* وهي أبواب الوحدات المتاحة في الذّاكرة (وكلّ باب من هذه الأبواب يكوّن محورا جدوليّا) من المجموعات *الحضوريّة* في السلسلة (أي المحور النّسقيّ). غير أنّ اللّسان ينبغي أن يدرس بحسب وجهتي نظر متقابلتين. فإمّا أن يكون الأمر وضعا عليه اللّسان يعتبر ثابتا في نقطة من الزّمن معلومة : فتلك هي اللّسانيّات الآنيّة التي يجري فيها هذا الجدول مثلا : *"je suis"* أي "أنا كائن"، *"tu es"* أي "أنت كائن"، *"il est"* أي "هو كائن" "nous sommes" أي"نحن كائنون"، *"vous êtes"* أي "أنتم كائنون"، *"ils sont"* أي "هم كائنون"، إلخ. وإمّا أن يكون تعاقب أوضاع تاريخيّة بتطوّرها وتغيّراتها على مرّ الأزمنة : فتلك هي اللّسانيّات الزّمانيّة التي تشرح الانتقال من الهنديّة الأوروبيّة :*Sonti~esti* أي "كائن~كائنون" إلى الألمانيّة *Sind ~ ist* وإلى اللاّتينيّة *Sunt ~ est* والانتقال من اللاّتينيّة إلى الفرنسيّة *Sont ~ est* إلخ.

ومن بين هذه الثّنائيّات تتبوّأ الثّنائيّة المكوّنة للعلامة اللّغويّة محلاّ متميزا. فالعلامة المعرّفة بأنّها اعتباطيّة وخطّيّة ومتفاصلة (*)، هي اتّحاد دالّ (هو الصّورة السّمعيّة لوجهها التصويتيّ) ومدلول (هو المتصوّر أي باب الوقائع غير اللّغويّة التي تحيل عليها). وفي نظريّة "سوسّير" يحكم اعتباط العلامة مفهوم النّظام ومن ثمّ يحكم مفهوم اللّسان مقابلا للكلام، ثمّ مفهوم الآنيّة مقابلا للزّمانيّة مثلما يحكم تقابل المؤسّسات الاجتماعيّة عامّة والمؤسّسات العلاميّة خاصّة وتقابل الرّمز والعلامة فهو لذلك المفهوم المركزيّ من الناحية الابستيمولوجيّة.

وفي ثنائيّة أخرى صيغت في جلاء مرّة واحدة على الأقلّ وهي ثنائيّة أبرزها "يالمسلاف" إبرازا عظيما مشطّا من وجوه عديدة، يؤكّد سوسّير" / أنّ 52

(*) التّفاصل (discrétion) في العلامة يعني أنّ هذه العلامة مكوّنة من وحدات صوتيّة (صواتم) وصيغميّة (لفاظم) متميّز بعضها عن بعض. وهذه الخاصّيّة فيها تمكّن من تعويض بعض الوحدات من بعض ممّا يؤدّي إلى تحوير معنى الملفوظ.

اللّسان شكل وليس بمادّة (1) ("دروس"، ص 157،169) وأنّ جميع الوحدات التي تكوّن نظامه هي قيم تقابليّة أي أنّها لا تجري مجرى الإشارات اللّغويّة إلاّ بما يميّز بعضها من بعض. فكتب في هذا المعنى بأن ليس في اللّسان إلاّ الفروق. غير أنّه لم يتوصّل قطّ، على نحوجليّ، إلى بيان ما به تختلف صورة الأصوات السّمعيّة في الذّهن، وهي الصّورة التي لا تعدو أن تكون مجموع عدد محدود من العناصر التّمييزيّة، ("دروس"، ص 32) عن جوهر الأصوات الماديّ بما فيه من لا محدوديّة الحركات العضليّة. إنّه وهو رائد صوتميّة "براغ"، لم يتوصّل إلى تعريف متصوّر الصّوتم تعريفا واضحا وإجرائيّا ووظيفيّا.

ولم يكن ليخفى أمر مصنف *"دروس في اللّسانيّات العامّة"* سنة 1916 وذلك رغم ما كان يمكن أن تمثّله الحرب العالميّة الأولى من ظرف غير ملائم. وفعلا، فقد قدّمه جميع أئمّة العصر في اللّسانيّات، حتى من كان أقلّ نباهة منهم : ذلك هو شأن "مايّي" (1916 و 1917) و"غرامّون" (1917)، و"ياسبرسن" (1917) و"سيشهاي" (1917) و"ماروزو" (1923) و"بلومفيلد" (1924). غير أنّ أكثر تقاريرهم انتقاديّة في جوهرها، ترى في الكتاب رأيها بالاحتكام إلى المسلّمات الشّائعة على ذلك العهد من نحو مقارن ولسانيّات تاريخيّة ونفسانيّة غابنة (*) في الغالب جميع ما يكسب المصنّف قيمة التّجديد.

وأثناء محاورة (سنة 1967) في هذا المشكل المتصّل بمآل أمر "سوسّير" كان "تولّيودي مورو" يؤكّد أنّه "لو لم ينقد علماء "براغ" مصنّف *"دروس"* في سنتي 1928-1929 وهم الّذين كانوا موقنين بأنّهم إنّما ينقدون

---

(1) وهو، في حقيقة الأمر، يفترض دائما على خلاف "بالمسلاف" أنّ اللّسان متجسّم في مادّة (إلاّ في العبارات الواقعة في صفحتي 157 و 169)على أنّه لا ينحصر في هذه المادّة وحدها : إذ من الممكن تصوّر جوهر آخر ("دروس"، ص 26 : "... فمسألة جهاز النّطق هي إذن مسألة ثانويّة في مشكل اللّغة").

(*) الغبن هو أن تمرّ بالرّجل وهو ماثل أمامك فلا تراه ولا تفطن له وهذا المعنى ينسجم مع قولهم في الفرنسيّة : "Passer à côté d'une difficulté et ne pas la voir".

53 نصًا مقدّسا لأنّهم كانوا يجهلون أنّه لم يعد أحد، في واقع الأمر، / يقرأ الكتاب الموؤود تحت ركام من التقارير السّلبيّة - فربّما لم تكن قراءتنا له اليوم تزيد عن قراءتنا لما كتبه "نورين" و"مارتي" و"كروسفسكي" الذين كانوا يسلكون نفس السّبيل التي سلكها "سوسّير"". ويضيف "دي مورو" إلى ذلك قوله : "إنّ اثنين من علماء "براغ" ("جاكبسن" و"تروبتسكوي") هما اللّذان جعلا مصنّف "دروس" متداولا باعتباره نصًا نظريًا أساسيًا". ويمكن أن نقبل هذا الرأي رغم أنّه لا يمكن الجزم به كلّ الجزم لأنّ قراءة مصنّف "دروس" كانت لا تزال أمرا ينصح به في فرنسا بين سنتي 1920 و 1930 قبل تأثير "براغ". غير أنّ هذه القراءة كانت ضعيفة الوقع إلاّ على بعض اللّسانيّين من أضراب "مارتيناي".

وحتّى إن أمكننا أن نلمس لدى "تروبتسكوي" خصوصا الحرص على التحصّن بسلطة" سوسّير" في اللّسانيّات الغربيّة والرّغبة في التّنويه بالموروث السّوسّيري (آنيّة ~ زمانيّة، مفاهيم التقابل والقيمة التخّالفيّة والنّظام) فإنّ حقّ "سوسّير" قد بخس، على كلّ حال، بفرنسا عصرئذ.

وحسبنا أن نقرأ ثانية ما كتبه "مايّي" أفضل تلامذة "سوسيّر" الباريسيّين في سنوات 1880 - 1890، في شأن *"الدّروس"* حتى نتبيّن هذا الأمر. ففي عرض موجز كتب بعد وفاة الرّجل سنة 1913 لا يبدو "مايّي" عارفا إلاّ بمفهومي الآنيّة والزمانيّة (*"اللّسانيّات التاريخيّة واللّسانيّات العامّة"*، السّفر الثاني ص، 183). أمّا تقديمه سنة 1916 فهو يقوم في جوهره على التّحفّظ من خلوّ *"الدّروس"* من لسانيّات للكلام أو من نحو مقولات (*) وعلى التّحفّظ من لا شرعيّة القطيعة بين الآنيّة والزّمانيّة. وإلى جانب التّقريظ الصّادق الذي يتناول الشّكل أو التّفاصيل خصوصا، فإنّه يحطّ من قيمة *"الدّروس"* بحجج ستهيمن على العقول عقودا عديدة، وصورتها أنّه "الكتاب الذي لم يصنّفه الأستاذ وما كان ليصنّفه قطّ" - وأنّه "[لا يعدو أن

(*) نحو مقولات : Grammaire des catégories، هو النّحو الذي يعنى بدراسة أقسام الكلام.

يكون] تحريرا لفكر [سوسيَر] قام به اثنان من أهمّ تلامذته" – وأنّ "سوسّير" "كان سيرفض يقينا السّماح بأن ينشر إبّان حياته تحرير [لدروسه] قد يقوم به أحد / أهمّ طلبته" - وأنّ الأمر لا يتعلّق "بعرض كامل" – وأنّ تدريس ص54
"سوسّير" يلمس ‹في الكتاب› لكن "في صورة مغرقة في البساطة" – وأنّ صهر هذه التّحارير المختلفة وإفراغها في قالب واحد كان "حلاً مجازفا" – وأنّ "الكتاب في نهاية الأمر ما هو إلاّ اقتباس من تعليم شفويّ عابر، ولا يعرف مأتى التّفاصيل التي يمكن أن تكون عرضة للانتقاد : أهي من صاحب الكتاب أم من ناشريه ؟ "وما إلى ذلك من الطّعن الخادش الذي كان يظهر، في نهاية الأمر، كثيرا من الارتياب في أمانة النّصّ وصحّته. وفي مقدّمة السّفر الأوّل من *"اللّسانيّات التّاريخيّة واللّسانيّات العامّة"* سنة 1924، يستبعد *"الدّروس"* في ثلاثة أسطر ونصف عند حديثه عن ضرورة كتاب إمام في اللّسانيّات العامّة. فا*"لدّروس"* عنده كتاب ليس له في هذا الأمر من فضل "إلاّ الولوج من الباب ووضع الرّجل في الرّكاب" فلا يزال يتعيّن علينا "الاضطلاع بعمل عظيم *لتنظيم المعطيات اللّغويّة من وجهة نظر اللّسان نفسه"* (ص II). والجملة تشهد، بلا مراء، على عجز مقعد عن قراءة مصنّف *"الدّروس"* في ثرائه الحقيقيّ، فلا غرو من أنّ "مايّي" في السّفر الأوّل من *الموسوعة الفرنسيّة* سنة 1936 قد اجتزأ بدسّ اسم "سوسّير" في قائمة عاديّة بين "فينك" و"فون درغابلنتز". وتتضح غرابة هذا الموقف خصوصا عندما يعتقد "مايّي"، في الآن نفسه، أنّه يكتشف في "غوستاف غيّوم" اللّسانيّ العلاّمة الذي سيقدّم للقرن العشرين مؤلّفا في اللّسانيّات العامّة. وإن المفارقة بين العبارات المحتشمة في شأن "سوسّير" وانبهار "مايّي" "بغوستاف غيّوم" لهو أمر جليّ للعيان. فعندما قدّم سنة 1933، مثلا، العدد الخاصّ باللّغة من *"مجلّة علم النّفس"*، خصّص أربعة أسطر ونصف "لتروبتسكوي" على سبيل المودّة، وهي أسطر لا تنمّ عن الاهتمام به (باريانت، ص 336) رغم أنّه كان أشاد أيّما إشادة بمقترحاته في "لاهاي" سنة 1928؛ ولكن مقالة "غيوم" هي الغالبة عمّا سواها في نظره : "فالمقالة الأبلغ في الدّلالة [...] هي مقالة السّيّدغ. غيّوم العالم الحرّ الفذّ في

طرافته وبصيرته / الذي يتناول ثانية ما عرضه من فكر عن الزّمن والمظهر رادّاً إيّاها إلى مبادئها الجوهريّة. ويصوغ فكره في شكل نهائيّ يظهر منها مداها ؛ ولم يقل أحد حتى الآن قولا أكثر سدادا في المقولات الخاصّة بالفعل، وعلى النّحويّين جميعهم أن يتعمّقوا في هذا المذهب الذي يعرضه السيّد "غيّوم" في وضوح ليس بعده بيان. وربّما كفتنا هذه المقالة وحدها تقويم الكرّاس النّفيس المشار إليه ههنا تقويما فريدا". (باريانت ص 337). وفي مناسبة أخرى حول *"الزّمن والفعل"* يبدو "مايّي" أشدّ جزما وأكثر مدحا وإطراء إذ يقول : "لم يكن للمصنّف القيّم الذي وضعه السيّد "غيّوم" في خصوص وسائل التّعريف والتّنكير (*) ما كان ينبغي أن يكون له من الأثر والوقع، فلم يكد يلتفت إليه أحد. ولنا أن نتمنّى أن يلاقي مصنّفه الجديد نجاحا أفضل، وإن كان هذا المرام عسير المنال : لأنّ الفكر الطّريف والحرّ لا يبسط سلطانه على العقول إلاّ مع العسر والمشقّة [...]. وإن الجمهور متّفق في الشّعور بالحاجة إلى "نحو عامّ،" بيد أنّه إن كان ينبغي لمثل هذا الفنّ أن ينشأ فيبدو أنّه من المتعذّر بلوغه بمنهج آخر غير الذي يستخدمه السيّد "غيّوم" [...] ولعلّ هذا الكتاب هو أجدر الكتب بإفهام ما كان يقصده "ف.دي سوسّير" باللّسان [...] (ن.ج.ل.، 31، 1931، الكرّاس الثّاني).

وما إن يفترع "مايّي"، هذه الطّريق حتى يقتدي به معاصروه من الفرنسيين إلاّ "ماروزو". أمّا "بنفينست"، خليفته في النّحو المقارن فقد ظلّ ردحا من الزّمن على رأي القوم في "سوسّير" : ففي مقالة هامّة عنوانها "طبيعة العلامة اللّغويّة" نشرت سنة 1939 في العدد الأوّل من *"أعمال لسانيّة"* (**)، وهو عدد برنامج، يجد مشقّة عظيمة في بيان ما قاله "سوسّير" من أنّ الدّالّ اعتباطيّ بالنّسبة إلى المدلول، وأنّ الرّابط بين الدّالّ والمدلول ضروريّ، رغم ذلك، لتكوين العلامة - وهذه حقيقة بديهيّة. وفضلا عن ذلك فإنّ "بنفينسيت" رأى آنذاك أنّه / ليس علينا أن نخوض في أمر ص56

(*) L'article.

(**) Acta Linguistica"

اعتباط العلامة إلاّ "للفراغ منه وتطليقه" ("*محاولات*"، ص 52) وأنّ طابع اعتباط العلامة هذا "حقّ [...] بل هو الحقّ عينه – وهو *لذلك قليل الفائدة*" (*في الموضع نفسه*، ص 51). أمّا خاتمة المقالة فهي تضاهي متنها في عدم وعي المسألة وفهمها، إذ تنصّ، سنة 1939، على أنّ "خصب [فكر سوسّير] هو في إنشاء التّناقض الذي ينمّي هذا الخصب" و"أنّه بإعادة *الطّبيعة الحقيقيّة* في العلامة اللّغويّة إلى سيرتها الأولى [...] نمتّن، بعد "سوسيرّ" (1)، صرامة الفكر السّوسّيري (*في الموضع نفسه*، ص 55). ويقف "بنفينيست" على جدّة وجهه نظر "سوسّير" في مقالة لافتة للنّظر "*بمجلّة علم النّفس*" سنة 1954 عنوانها النّزعات الحديثة في اللّسانيّات العامّة"، غير أنّ مصنّف "دروس" يقدّم دوما في حدود ضيّقة، لا في جدّته وطرافته بل في نقائصه وعيوبه، فيقدّم على أنّه "كتاب حرّر بعد ممات صاحبه اعتمادا على تقييدات التّلاميذ"، وعلى أنّه "مجموعة نفحات عبقريّة" "تستدعي كلّ واحدة منها تفسيرا وبعضها لا يزال يذكي الجدال" ("*محاولات*"، ص 5 و 7). وفي سنة 1960 أيضا يصرّح "بنفينيست" في نصّ يبعث على الدّهشة حول "*فندرياس*" بأنّ "مصنّف *اللّغة* الذي وضعه هذا الرّجل هو الذي له الأفق التّاريخيّ الأرحب من بين مصنّفات ذلك العصر (أي مصنّفات "ياسبرسن" و"سابير" [أمّا "سوسّير" فلم يشر إليه حتى على سبيل الذكر])، وهو *أشبه المصنّفات بهذا المؤلّف في اللّسانيّات الذي حلم بكتابته كثير من اللّسانيّين* وذلك قبل أن تبدو لهم هذه الظّاهرة التي هي اللّغة غير قابلة لأن تحصر بين دفّتي كتاب" (*ن. ج. ل.*، المجلّد 55، 1960، الكرّاس الأوّل، ص 1 - 9).

ولا يعترف "بنفينيست" الاعتراف التّامّ بالأهمّيّة التّاريخيّة في "*الدّروس*" إلاّ سنة 1963 إذ يقول : من المحقّق أنّ "اللّسانيّات المجدّدة" في القرن العشرين "تمتح من معين" سوسّير ("محاولات"، ص 45) وهو معين كان "بنفينيست" سنة 1954 لا يزال يرى أنّ موضعه هو العدد الخاصّ من "*مجلّة*

---

(1) ما كتب بحروف مائلة <طليانيّة في النّصّ الفرنسي> في الاستشهاد بكلام "بنفينست" هو من وضع المستشهد.

علم النّفس" الصّادر سنة 1933 /.

57 هذا القصور عن الفهم، الذي لم نعرضه في هذا المقام لنساجل علماء أفذاذا لهم علينا أياد سابغة في العلم، يطرح بوجوده في حدّ ذاته الأسئلة التي يجمل بنا الآن أن نعالجها : كيف وضع مصنّف "*دروس في اللّسانيّات العامّة*" ؟ وما أمانة تقييدات الطّلبة التي هي أسّه وقوامه ؟ وإلى أيّ حدّ نقل إلينا "بالّي و"سيشهاي" هذه التقييدات لفظها ومعناها ؟ وهل في وسعنا أن نستيقن بمعرفة المذهب الصّحيح الذي عليه "سوسّير" ؟

إنّ مصنّف "*دروس*"، مثلما هو معلوم، حصيلة التّدريس الذي قدّم كلّ عامين مذ صار "سوسّير" أستاذ كرسيّ وذلك في سنوات 1906 - 1907 و1908 - 1909 و 1910 - 1911. والآثار الوحيدة لهذا التّدريس هي تقييدات الطّلبة. ولا جرم فإنّ ""سوسّير" كان يتلف شيئا فشيئا [الـ]ـمسوّدات التي كتبت على عجل" وهي المسوّدات المتعلّقة بدروس السّنوات المذكورة، غير أنّ النّاشرين عثرا في وثائقه على مسوّدات من القدم بمكان" تعود إلى سنة 1894 وقبلها، تشهد باهتمامه البالغ بهذه المشاكل، فاستعمل النّاشران تلك الوثائق. أمّا عن وضع الكتاب فإنّ "مايّي" لم يحتجّ على "بالّي" و"سيشهاي" إلاّ بالفقر التي نبّها فيها تواضعا وأمانة على طابع "النّقص" في المصنّف وعلى عسر الاختيار بين "الأصداء المتنافرة أحيانا" و"الصّياغات المتغيّرة" لفكر رجل "كان يتجدّد باستمرار" وهما يؤكّدان أنّ "المؤلّف [...] ربّما ما كان ليسمح بنشر هذه الصّفحات"؛ ويسلّمان أيضا بأنّهما إنّما يحاولان تقديم "تأليف" عن فكر "سوسّير" متوسّلين "بحلّ أشدّ مجازفة" من ذلك الذي كان يمكن أن يتجسّم في الاقتصار على نشر بعض القطع الخام مثلما "أشير" به عليهما. غير أنّ المقدّمة التي استخرجنا منها جميع هذه الشّواهد، وهي الخليقة بالتّفكّر وإدامة النّظر، كانت، فعلا، تصف وصفا كافيا شافيا أساس العمل
ص58 التأليفيّ الشّديد المتانة الذي هو "كراريس تامّة غير منقوصة" / لثمانية طلبة هم : "كاي" و"غوتيي" و"ريغار" و"ريدلنجر" فيما يتعلّق بدروس العامين الأوّلين ؛ و"ديغاليي" والسّيّدة "سيشهاي" ويوسف فيما يتعلّق بدروس العام

الثّالث، "وبروتش" في مسألة خاصّة – هذا دون اعتبار التّقييدات القديمة ؛ والذي هو، من ناحية أخرى، "عمل على قدر كبير من الدّقّة والضّبط في مقابلة" المخطوطات ومعارضتها بعضها ببعض، قام به "ريدلنجر" في شأن دروس العامين الأوّلين، وقام به "سيشهاي" (تعينه في ذلك زوجته بلا ريب وقد كانت هي نفسها طالبة آنذاك) في خصوص دروس العام الثّالث. ولنا اليوم بفضل "إنغلر" وطبعته المبنيّة على تحقيق النّصوص الأصليّة ما جملته هذه الثّلاثة والثلاثون كرّاسا بالإضافة إلى محفظة ؛ ويتيح لنا "إنغلر" اليوم أيضا، بحسب ترتيب الأسماء المذكورة أعلاه " 462 ص، 231 ص ، 240 ص، 301 ص، 283 ص، 140 ص، 189 ص، إمكان النّظر في مقابلة النّصوص ومعارضتها بعضها ببعض، فنقف على صورة هذه المعارضة وتلك المقابلة وذلك فيما يتعلّق بنحو ستّين فقرة. فلا مراء من هذه الجهة في أنّ أساس النّصّ المنشور سنة 1916 أساس متين.

ولكن هل يمكن التيقّن من أمانة تقييدات الطّلبة هذه ؟ إنّ عدد هذه التّقييدات يقوم بادئ ذي بدئ شاهدا من شواهد المراقبة وقد نشر "إنغلر" عمله مقدّما ستّة أعمدة على كلّ صفحتين من صفحات الكتاب مفتوحا، يحتوي العمود الأوّل على نصّ سنة 1916 مقسّما إلى 3281 "قطعة" لا توافق التّقسيم إلى جمل وإنّما تناسب التّقسيم إلى فكر متميّزة حسب تحليل اختباريّ للمحتوى؛ وهو تحليل ليس صارما كلّ الصّرامة ولكنّه يظلّ كافيا في غرضه. أمّا الثّاني والثّالث والرّابع فهي أعمدة تقدّم قطع الطّلبة وحدها (ولا تقدّم طبعا نصّ الكراريس بأكمله) وتلك هي مصادر نصّ "بالّي" "وسيشهاي" التي يمكن الوقوف عليها. وكلّما كانت لفظة واحدة أو مجموعة ألفاظ هي بعينها في نصّ سنة 1916 وفي مصدر واحد أو مصادر عديدة، طبعت بحروف غليظة وهو ما يجسّم أمانة النّاشرين اللّفظيّة على التقييدات ؛ وكان من الممكن أن يكون هذا القدر من الكتابة الغليظة أكثر لفتا للأنظار لو لم يكن "إنغلر" قد اقتصر على تماثل الأشكال في الرّسم : فهو مثلا لا يعتدّ بهذا التّماثل عندما تورد المصادر كلمة "chimériquement" أي "على نحو وهميّ"

في الموضع الذي يورد فيه مصنّف "دروس" كلمة / "chimérique" أي "وهميّ (ص 58)؛ أو عندما تعوّض عبارة "les langues" أي "الألسنة" في التّقييدات بضمير ("elles" أي "هي" أو "les" أي "ها" < في حالة الضّمير المتّصل الذي يعود على الألسنة>) في "الدّروس". وبذا يمكن أن نتأكّد من أمانة "بالّي" و"سيشهاي"، شكلا ومضمونا، على تقييدات الطّلبة قطعة قطعة. ومن ناحية أخرى فإنّا كثيرا ما نسمع من خلالها حتى صوت "سوسّير" وجرس كلامه وهو أمر تنزع الصّيغة المكتوبة التي اعتمدها النّاشران ضرورة إلى محوه ؛ ونسمع قوّته وحيويّته الشّفويّة وحتى ما لهج بذكره من الكلمات لسانه : ففي الموضع الذي يتحدّث فيه النّصّ (ص 11) عن "conceptions erronées" أي "تصوّرات خاطئة" تثبت تقييدات ("ريدلنجر" و"غوتيي") كلمة "absurdes" أي "محالة عقلا" ؛ وفي معرض حديث النّصّ عن "conséquences importantes" أي "تبعات هامّة" (ص 104) أثبت قسطنطين و"غوتيي" في تقييداتهما كلمة "incalculables" أي "لا حصر لها"؛ وفي موضع آخر ترى أنّ عبارة "important chapitre" أي "فصل هامّ" ص III في النّصّ مأتاها من "immense" أي "عظيم" في التّقييدات. <ويصحّ ذلك> حتى عندما لا تتّفق التّقييدات في لفظها : فعندما يتحدّث النّصّ مثلا بلباقة عن "الاضطراب" (aberrations) في رسم الحروف (ص 51) تثبت تقييدات الطّلبة كلمات "chinoiseries" أي "تعقيدات غريبة" و"énormités" أي "شطط" و"absurdes" أي "أمور لا تعقل". وتراعي التّقييدات حتى الصّياغة المعجميّة الزّائلة التي تختفي من النّصّ : فمن ذلك كلمة "constatative" (ص 118) وكلمة "inimportant" (ص 112) <ممّا لا يشتمل عليه المعجم الفرنسيّ>. فكأنّ فيما أوردناه تصديقا أسلوبيّا للتّقييدات. وإنّ إدامة النّظر في هذه التّقييدات، مثلما رأى ذلك النّاشران عن صواب، تؤدّي إلى وسم الطّالب بميسم خاصّ : فالسّيّدة "سيشهاي"، مثلا، امرأة ثقفة لقفة، صاحبة ذهن تأليفي، حبّ المعرفة غالب عليها؛ أمّا يوسف فهو أقلّ الطّلبة وثوقا، يعمّم <الأحكام>، ولا يحسن متابعة المعتاص من المسائل، وهو الذي يخرج فوق "سوسّير" في عدم تقيّده

بالفصيح من الكلام (فمن ذلك أنّه الوحيد الذي كتب "fourré" أي "مدسوس" في الموضع الذي كتب فيه الآخرون "mis" أي "موضوع". غير أنّه قد يكون الأقرب إلى "سوسّير" متابعة ومسايرة في هذا المقام ؟). وعلى كلّ حال فإنّه يسوغ لنا أن نقبل إجمالا رأي "إنغلر" في "أمانة تقييدات التّلاميذ" وأن نقرّ معه إقرارا تامّا بأنّها "الشّهادة المباشرة والدّقيقة على تعبير الأستاذ" (إنغلر، السّفر الأوّل، ص XI).

فما هي قيمة ما بناه "باليّ" / و"سيشهاي" على هذه الأسس الشّديدة المتانة هي الأخرى في الغالب الأعمّ ؟ لا ريب في أنّهما نقّحا الشّكل كثيرا، وأقلّ من تنقيح الشّكل تواترا تنقيح نسق التّقييدات التي يتّخذانها منطلقا للعمل. فقد كانت اعادة التّنظيم ضروريّة لأنّ سنوات التّدريس الثلاث لم تكن اتّبعت التّخطيط نفسه في العرض (1). ولو تأتّى لنا أن نجادلهما في اختيارهما - أي تحرير نصّهما "على أساس دروس العام الثّالث" - لوجب علينا التّسليم بأنّهما يتّبعان في ذلك "سوسّير" الذي لا جرم أنّه كان لدروسه في العام الأخير تخطيط محكم بالقياس إلى تجربة دروس العامين الأوّلين. ومن جهة أخرى تكشف لنا تقييدات الطّلبة عن العناية التي كان "سوسّير" يحيط بها ترابط دروسه ترابطا منطقيّا. فهو ينبّه تارة على ثغرات فصل ما (إنغلر، II، 214)، ويعلن طورا عن كيفيّة تدرّجه ‹في الدّروس› (في الموضع نفسه، ص 228) أو يبرّر رجوعا إلى ما قيل - (في الموضع نفسه)؛ ويتساءل تارة أخرى متردّدا في شأن الموضع الذي يدرج فيه تفصيلا من التفاصيل (في الموضع نفسه، ص 174 - 175).

ولنأت إلى الشّكل، ففيم كان تدخّل النّاشرين فيه ؟ من الجليّ أنّ نظرتهما، حتى في تفاصيلها، كانت متأثّرة بالرّغبة في مخاطبة جمهور كثير العدد، فرنسيّ ‹على نحو خاصّ›. وهذا أمر محسوس في تحوير الأمثلة :

---

(1) إنّ تحليل "مصادر" "غوديل"، وهو ما شرع فيه "دي موروّ" قد يتيح لنا بيان تطوّر فكر "سوسّير" من سنتين إلى سنتين بيانا حسنا، وهذا الأمر في ذاته مشكل.

فهما يقترحان إحالة على لهجة "جينيف" الرّيفيّة ("se fâcher" > "se fôcher" أي "اغتاظ" [انغلر، II، ص 210]). بل إنّهما يعوّضان قطار "نابولي" السّريع (ريدلنجر) أو قطار "بارن" (قسطنطين) بقطار "جينيف" - "باريس" (في *الموضع نفسه*، ص 245)، وهما يليّنان من قوّة الكلام، كما مرّ، ويقصدان دوما إلى الرّشاقة المتّبعة في اللّسان المكتوب (مثلما يجسّدها مثال سنة 1916). وعلى هذا النّحو تثبت في *"الدّروس"* عبارة "un mécanisme" أي ".. إواليّة" (ص 123) عوضا ممّا كتبه "ديغاليي" وقسطنطين : "la langue est une machine" أي "اللّسان آلة"؛ أو عندما تنصّ التّقييدات على أنّ رمز العدالة لا يمكن أن يكون مركبة (une voiture) بينما يثبت نصّ سنة 1916 عبارة "un char" أي "عربة" (ص 101). ومن جهة أخرى لا تفعل هذه الرّقابة الجامعيّة / فعلها دائما فيستبقي النّاشران التّعابير المألوفة المجازيّة من قبيل "الورقة المفروضة" (*) (ص 10) أو حتّى من قبيل "الدّجاجة التي حضنت بيضة بطّة" (ص 170) فكلّ هذا معدود في طرافته وبداعة تصويره من الصّغائر المتجاوز عنها.

غير أنّه يحدث لهما أيضا أن يضعفا من تعبير النّصّ إضعافا أشدّ من جهة الإحساس به، فالصّورة الخلاّبة الفاتنة (ولكنّها الصّورة التي ربّما لم تكن مناسبة للمقام مناسبة تامّة)، تلك التي تقابل الآنيّة بالزّمانيّة مثل تقابل السّفينة وقد استوت على عماد في اليابسة والسّفينة عينها وقد تركت عرضة لعبث البحر وأهوائه جميعها، هذه الصّورة تختفي تماما لتحلّ محلّها صورة "لسان [...] يجرفه التّيّار" (ص 111) لا غير. وتضعف وجاهة التّحريف عندما تتحدّث تقييدات الطّلبة، في خصوص فرنسا، عن "دول تسعى إلى اجتثاث ألسنة ليست بألسنة الأغلبيّة" (قسطنطين) أو تتخّذ "إجراءات ضدّ ألسنة الأقليّات (غوتيي) بينما ينصّ مصنّف *"دروس"* في حذق ولباقة على

(*) الورقة المفروضة "la carte forcée" : هي الورقة التي يجبر البهلوانيّ المتفرّج أو المساعد على اختيارها موهما أنّه إنّما اختارها من تلقاء نفسه.

"أنّ دولا أخرى مثل فرنسا تتوق إلى الوحدة اللّغويّة (ص 40).

ويعمد النّاشران أحيانا إلى الحذف، وليس ذلك قصد التّخفيف دوما فيما يظهر. وهكذا، رغم ‹ما أثبته› قسطنطين و"بوشاردي" يختفي علم الاجتماع من النّصّ في الموضع الذي يتعلّق فيه الأمر بمعرفة العلوم التي ينبغي عليها "تحديد محلّ العلاميّة" (ص 49). كما أنّ الأمر كثيرا ما يتعلّق بأمثلة تطرح ارتيابا فيها (من ذلك نطق لفظة *"roi"* أي "ملك" : راء متبوعة بضمّة منغلقة وفتحة [roa]، إنغلر، I، ص 79)، أو لأنّها من الأمثلة المهجورة (*"haubert"* أي "درع للعنق والرأس"، *"héraut"* أي"رئيس المراسم في الحرب"، *"haume"* أي "اضرب" تعوّض بـ*"honte"* أي "خزي" و*"hache"* أي "فأس" و*"hareng"* أي "رنكة" - "دروس" ص 52-) أو لأنّها من الأمثلة التي قد تكون محمولة على شدّة اختصاصها بما يتداوله العلماء بينهم (*"percapio"* ‹ *"percipio"* أي : استولى على) أو على كثرتها المفرطة (على أنّ النّاشرين يضيفان إليها أمثلة أخرى أحيانا : راجع كلمة *"Tisch"* أي "طاولة" إلى جانب كلمة *"Tügend"* أي "مزيّة أو خصلة") (ص 50).

ومن ناحية أخرى فإنّه ليس ينبغي لنا أن نعجل بإبداء الرأى في هذه التّحويرات لأنّ العبارة أو المثل المحذوفين في موضع ما، يمكن أن يحذفا لأسباب تتّصل بالأسلوب أو بالتّوازن فيظهران في موضع آخر يبدوان فيه، خطأ، كأنّما ابتدعا. فلعلّه ينبغي علينا الحصول على نصّ تقييدات الطّلبة كاملا بل على نصّ محاورات "سوسّير" و"بالي" و"سيشهاي" العديدة مكتوبا بطريقة الاختزال / حتى نؤكّد أن مثلا مذكورا لم يورده "سوسّير". ص62

وأحيانا أخرى يعمد النّاشران إلى الإضافة إلى ما يعثران عليه في التّقييدات : فالتّمثيل الإشاريّ مثلا لم يذكر ضمن الأنظمة العلاميّة (ص 100) غير أنّه مطابق لفكر "سوسّير" وذلك هو، في الغالب، شأن الإضافات التي أشار إليها "إنغلر" بالرّمز "[éd]" (*)؛ وهي إضافات من الكثرة بمكان

(*) هو رمز لفظة "éditeurs" الفرنسيّة ومعناها "النّاشران".

حسب سبر سريع : 44 قطعة من 620 في مدخل مصنّف "*دروس*" (دون اعتبار التّذييل)، و 99 قطعة من 1119 في القسمين الأوّل والثّاني - وهو ما يساوي 8٪ من القطع تقريبا، بيد أنّ هذه الإضافات هي في الغالب الأعمّ إمّا عناوين أو أشباه عناوين أو إحالات على مواضع أخرى أو ملاحظات أسفل الصّفحات؛ وإمّا جمل تقديم وانتقال واختتام؛ وإمّا شروح وتفصيلات مطابقة تمام المطابقة للسيّاق ولفكر "سوسّير" المشهود بصحّته، وإمّا قطع نقلت من مواضعها ومصدرها في موضع آخر سواء أذكر ذلك المصدر أم لم يذكر. ونادرة هي أخطاء القراءة أو التأويل : فعندما قابل أربعة طلبة رأس المال بالعمل في خصوص "القيمة" فإنّ الأمر يمكن أن يكون سبق لسان من "سوسّير" (1) لم ينتبهوا إليه، غير أنّ النّاشرين صحّحاه بمقابلة *العمل بالأجر* (إنغلر، II، 177). ولقد بدا لي أنّي وقفت، ربّما في مسألة واحدة، على تحريف لرأي "سوسّير" : فعندما استخلص هذا الرّجل (وذلك مثبت في تقييدات ثلاثة طلبة من بين أربعة) من مسألة معرفة هل ظاهرة اللّسان أسبق أم ظاهرة الكلام ؟ - خلاصة صورتها أنّ هذا الأمر "ليس بذي بال"، لم يسع "بالّي" و"سيشهاي" أن يتمالكا عن الإدلاء بدلوهما؛ غير أنّ الذي كان يشغل بال "سوسّير" هو مشكل أصل اللّغة (وهذا مثبت في تقييدات ثلاثة طلبة من بين أربعة)، بينما اعتقد النّاشران أنّ الأمر متعلّق بالتّناقل التّاريخي دون أن تغفل صياغتهما الملتبسة مشكل أصل اللّغة : فهما يؤكّدان أنّ الكلام سابق للّسان / (إنغلر، I، ص 57). ومهما يكن من أمر فليس هذا كافيا لرمي "باليّ" و"سيشهاي" بالتّنكّر لفكر أستاذهما. ص63

ويتّفق أن يهذّبا صياغة التّقييدات حتّى في الحالات التي يظهر فيها الإجماع أنّ العبارة المبهمة أو الركيكة مأتاها من "سوسّير" نفسه فنحن نعلم أنّ الجملة الأخيرة في *"الدّروس"* وهي الجملة التي كثيرا ما تذكر على أنّها جملة برنامج ("إنّ موضوع اللّسانيّات الوحيد والحقيقيّ إنّما هو اللّسان

(1) "دي مورو" يذهب إلى رأي آخر ([دروس] ، ص 420، م 166).

منظورا إليه في ذاته ولذاته") لا توجد في أيّ تقييد من التّقييدات المعروفة (1). ثمّ إن إحدى أجود العبارات الابستيمولوجيّة في *"الدّروس"* وهي ("إنّ اكتشاف حقيقة ما هو، في الغالب، أمر أيسر من إحلالها المحلّ الذي يناسبها" [من النّظريّة]) لا توجد هي أيضا على هذا النّحو وبهذا الميسم في أي تقييد من التّقييدات (إنغلر، II، ص 153). أمّا هذه العبارة الأخرى التي لا شكّ أنّها أبهجت "مارتيناي" وصورتها أنّ "اللّسان [...] هو مجموعة العادات اللّغويّة التي تتيح لمتكلّم ما الفهم والإفهام"، فإنّها تناسب في التّقييدات سطرا متعثّرا في خصوص اللّسان باعتباره "عقدة نفسيّة تعقد بين الفكرة والعلامة" (إنغلر، I، 172).

وههنا أيضا يجوز لنا إقرار "إنغلر" على التّقريظ الذي يثني به على ما أنجزه "بالي" و"سيشهاي" من عمل رائع وهما أهل لهذا التّقريظ. فقد وضعا، في الجملة، بين أيدينا، على نحو أمين، جوهر فكر "سوسّير" مثلما كان متاحا لهما توثيقه في سنوات 1913 - 1915. وما فضلهما بالأمر الهيّن حين أمكنهما، وهما يعالجان نصوصا شديدة الميوعة أحيانا، أن يقاوما، على نحو يكاد يكون مستمرا، كلّ ما يغريهما بالعدول عمّا كان مشهودا به شهادة قاطعة.

فهل معنى هذا أنّ نصّ سنة 1916 يضع بين أيدينا فكرا مقدّسا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ ليس الأمر كذلك قطعا، / فإنّ "دي ص64
مورو" ولعلّه أعلم النّاس بما يتّصل "بسوسّير" من مشاكل حاليًا، يقدّم قائمة طويلة من المسائل التي يمكن الاعتراض فيها على النّصّ قياسا إلى التّقييدات. ولا شكّ أنّه يورد على وجه الخصوص فوارق دقيقة وصورا من حيرة ليس لها قرار وتحارير متعسّفة بعض التّعسّف وتنقيحات هي مظنّة للجدل؛ ولكنّه يورد أيضا تحريفات على جانب من الخطورة تتعلّق بالمضمون -

---

(1) على أنّه توجد عبارة قريبة منها عند "بوب" (1837) وعند "مايي" (1906). انظر "مونان"، "تاريخ"، ص 179، م 6، "ومايي"، اللّسانيّات التاريخيّة واللّسانيّات العامّة، I، ص 231.

ما يربو على حوالي عشرين تحريفا – رغم أنّه يسلّم، هو أيضا، بأنّ "حالات الأخطاء المحضة [هي] حالات نادرة جدا ([دروس] ، ص 365، م 13).

وإذا تناولنا ثلاث مسائل اختلف فيها القول : وهي تقابل اللّسان والكلام وتقابل الآنيّة والزّمانيّة ومفهوم الصّوتم فإنّه يمكننا اليوم بفضل "غوديل" و"إنغلر" القيام ببحث فيلولوجيّ مستقص في هذا الشأن.

وربّما استمرأ البعض، في خصوص المسألة الأولى وهي أكثر المسائل التي تحقّق فيها وهن فكر "سوسّير"، إمكان إثبات مسؤوليّة "باليّ" و"سيشهاي" عن هذا الاقتراح المجازف الذي يرى إمكان وجود "لسانيّات للكلام" متميّزة عن "لسانيّات اللّسان". وكانت لسانيّات الكلام هذه توشك أن تصير خليطا من أمور شتّى : من الصّوتيّات والأسلوبيّة والدّلاليّة وعلم النّفس إلخ. بيد أنّ نصّ التّقييدات أكثر جزما في هذه المسألة حتّى من مصنّف "دروس" (الذي يخفّف من إثبات إمكان وجود لسانيّات للكلام، فتتقدّم هذا الإثبات عبارة "عند الاقتضاء" وهو مالا تتضمنّه التّقييدات لا في شكلها ولا في مضمونها). فإن كان "باليّ" و"سيشهاي" مذنبين في هذا المقام، فلأنّهما حاولا توضيح أمر كان لا يزال غامضا كدرا عند "سوسّير" وسعيا إلى صهره في قالب واحد : ولا جرم، فإنّ هذا الرّجل يقدّم مرّتين تعريفا للّسان منافرا لكلّ ما قاله في شأنه عموما. فيصبح اللّسان عندئذ "مجموعة من الظّواهر العامّة [المشتركة] بين جميع الألسنة" ("سيشهاي" يؤيّده في ذلك "ديغاليي" ويوسف في عمل "إنغلر"، I، ص 65)، كما أنّه يصبح أيضا "تعميما يمثّل حقيقة بالنّسبة إلى الألسنة جميعا" ("سيشهاي" / يؤيّده في ذلك يوسف وقسطنطين في عمل "إنغلر"، II، ص 158). ودون أن يمحو مصنّف "دروس" هذا النّشاز فإنّه لا يشير إليه إلاّ مرّة واحدة في صيغة لا تجعل منه تعريفا للّسان (ص 44). وعندي أنّ "دي مورو" قد حاول عبثا استعمال هاتين القطعتين لتأويل الجملة الأخيرة في "الدّروس"، وهي الجملة التي ذكرناها أعلاه، ذاهبا إلى أنّها في معنى لسانيّات للبنى العميقة والكلّيات (انظر [دروس]، ص 381 م 65 ؛ ص 391، م 81؛ ص 451، م 365).

65

أمّا عن تقابل الآنيّة والزّمانيّة الذي كان سببا في سوء فهم كثير فإنّ "دي مورو"، على النّقيض من ذلك مصيب تمام الإصابة عندما يبيّن أنّ مصنّف "دروس" كان يحتوي على جميع الصّياغات الضّروريّة العاصمة من سوء الفهم هذا ([دروس] ملاحظة مطوّلة 176، ص 421 - 424). كما أنّه محقّ أيضا في قوله إنّه "ليس من المعقول أنّا نسينا" ما قاله "سوسّير" صراحة في شأن تشابك الآنيّة والزّمانيّة وما في فصلهما من صعوبة ابستيمولوجيّة ومنهاجيّة. غير أنّ "سوسّير" ربّما أنكر (1) في خصوص المسألة الجوهريّة أن يصدق مفهوم النّظام على الزّمانيّة، والتّقييدات تنصّ في وضوح على أنّ "الآنيّ وحده هو الذي يكوّن نظاما" ("ريدلنجر"، "غوتيي"، "بوشاردي"، قسطنطين، في عمل "إنغلر"، II، ص 188). ولكن "دي مورور" يبيّن أنّ الأمر يتعلّق، خصوصا عند "جاكبسن"، بقراءة عجلة وجزئيّة في نفس صاحبها غاية منها. ذلك أنّ مصنّف "دروس" (ص 121) تقرّه على ذلك التّقييدات (تقييدات "ديغاليي" و"سيشهاي" ويوسف وقسطنطين في عمل "إنغلر"، II، ص 189) يطرح فعلا على نحو عنيف المبدأ المضادّ للغائيّة إذ يقول : "ليس اللّسان إواليّة ابتكرت ونظّمت وحداتها قصد التّعبير عن متصوّرات". والواقع أنّه لا "الدّروس" ولا التّقييدات قطعا تنفي علاقة التّغيّرات في النّظام أو وقع هذه التّغيّرات الخاصّة على انتظام النّظام مرّة أخرى ("دروس"، ص 121، 122، 124، 166). وقصارنا في هذا المقام / أن نآخذ "باليّ" و"سيشهاي" على إضعافهما في بعض المواضع قوّة الصّياغة في التّقييدات دون أن يصل الأمر البتّة إلى محو هذه القوّة وذلك عندما تؤكّد التّقييدات وجود "عوامل تحريف متميّزة غير *أنّها مختلطة في تأثيرها اختلاطا شديدا* حتى إنّه لمن ترك الحيطة أن نروم فصلها على وجه السّرعة" - وعندما تنصّ على أنّ "سوسّير" إنّما "يعدل عن" تفصيل القول في ذلك "إلى حين". (هذه النّصوص هي في

6

(1) في رأي "جاكبسن" الذي استغرب من "سوسّير" معارضته للمذهب الغائيّ "Anti-téléologisme".

تقييدات "لسوسّير" نفسه وهي تقييدات ربّما لم يعاينها النّاشران؛ غير أنّه باستثناء العبارة المؤكّدة فإن مضمون هذه النّصوص وشكلها يوجدان أيضا عند "ديغاليي" :"إنغلر"، II، ص 171). وإنّا لنأسف أيضا لأنّ مصنّف *"دروس"* لم يحتفظ بهذه العبارة البديعة في التّقييدات ضدّ الخلط في الاعتبارات بين النّظام الآنيّ والتّغيّرات الزّمانيّة وصورتها أنّه "لا مجال للحديث عن ‹نظام› مع وجود أحداث" ("ريدلنجر" و"بوشاردي" وقسطنطين في عمل "إنغلر"، II، ص 202). بيد أنّه يبقى أنّ نصّ *"الدّروس"* كان كافيا، مع إنعام النّظر فيه، لطرح مشكل علاقات الآنيّة بالزّمانيّة على نحو صحيح.

أمّا شأن الصّوتم فمختلف. ذلك أنّه ثبت عند "غوديل" (مصادر، ص 113 و 272) و"دي مورو" ([دروس]، م 111، ص 397 - 399) في هذه المسألة أنّ "باليّ" و"سيشهاي" قد ضلاّ سواء السّبيل ملبّسين المصطلحات التي كان "سوسّير" يريد تمييزها (فمصطلحات "صوتم" و"تصويتي" و"صوتميّة" محّضت للدّلالة على تنفيذ الكلام تنفيذا ماديًا؛ أمّا مصطلحات *"عناصر" و"وحدات لا تقبل مزيد التّجزئة"* فهي تخصّص وقائع بسيكولوجيّة وقيما (انظر "إنغلر"، II، ص 223). وإنّ بأيدينا على الأقلّ جميع عناصر المشكل الذي يستحق بدون شك نقاشا أطول ممّا يظنّ "غوديل" و"دي مورو" اللّذين استيقنا بأنّ متصوّر الصّوتم عند "سوسّير" واضح للعيان ليس بعده بيان. ولم يكن "سوسّير" ييسّر للنّاشرين أمرهما، كما مرّ، لأنّه، في الحقيقة، لم ينته قطّ إلى توضيح الإجراءات التي كان يتهيّأ له بها (ما عدا الاحتكام إلى الكتابة أو إلى شعور المتكلّم) ضبط هويّة العدد القليل من السّمات التي تكوّن الفروق بين الوحدات التي لا تقبل مزيد التّجزئة وتعريف هذا العدد من
ص67 السّمات بمقابلته / بلا محدوديّة الحركات العضليّة التي تكوّن إنجازاتها التّصويتيّة.

وجملة القول، مثلما نقف على ذلك في هذه الأمثلة الثّلاثة البارزة، إنّ "باليّ" و"سيشهاي" غالبا ما تزلّ بهما القدم في مواضع الخلل من ‹فكر› "سوسّير". بيد أنّ هذا الأمر لا يطعن في خطوط التّدريس السّوسّيري الكبرى

الذي يمكن أن نرى فيه تدريسا نقل نقلا صحيحا منذ سنة 1916. أمّا "دي مورو" الذي يظلّ رائعا عندما يثبت قراءة التّقييدات فيلولوجيًا، فإنّه يوشك أكثر من مرّة أن يخرج من هذه القراءة الفيلولوجيّة المحقّقة إلى التّأويليّة وإلى التّآويل الشّخصيّة التي تنمّ عمّا انتزعه هو من "سوسّير" أكثر ممّا تنطق عن "سوسّير" نفسه. وهو يقع على نحو غريب في نفس الشّرك الذي وقع فيه "بالّي" و"سيشهاي" : فهو ينشئ بباعث من ميل عقلانيّ فلسفيّ صورة "لسوسّير" أكمل وأشدّ تناسقا ممّا هي عليه في الحقيقة مثلما أنّهما كانا حاولا تجميد فكر مبتور في "شكل نهائيّ" وقد استيقنا بأنّ كلّ ما كان "لسوسّير" أن يقوله يحتويه بصورة منطقيّة ما كان قاله احتواء القشرة على اللّبّ.

"أنّو ياسبرسن"

6 "أتّو ياسبرسن" (1860 - 1943) هو رجل عصاميّ في وجه من الوجوه، وليس هذا بالأمر النادر في اللّسانيّات. بعد تكوين ثانويّ تقليدي ودراسة للحقوق، أصبح في أوّل الأمر مختزلا بغرفة النّواب الدّانماركيّة وذلك ما أدّى به إلى الاهتمام بالصّوتيّات من خلال أوّل أجلّ مؤلّف في هذا الفنّ وهو المؤلّف الذي كان "إدوارد سيفرس" قد فرغ من تقديمه سنة 1876 (على أنّه كان مولعا بأعمال "راسك" منذ صباه)؛ ثمّ من خلال أعمال مدرسة "هنري سويت" الإنقليزيّة وهو رجل له به صلات منذ زمن سابق لسنة 1888 (شأن صلاته "ببول باسّي") وذلك قصد إعداد الأبجديّة الصّوتيّة العالميّة وهي الأبجديّة التي لم يرض عنها قطّ. كما أنّه درس آنذاك "بباريس" و"برلين" و"لايبزيغ" و"لندن". وإنّ أعماله الأولى - وهي : *"الصّوتيّات"* (*)، "كوبنهاغ"، 1897 - 1899؛ و"كتاب الصّوتيات"، (**)، "برلين" - "لايبزيغ"، 1904؛ و*"مسائل أساسيّة في الصّوتيّات"* (***) "لا يبزيغ"، 1904، وهو التّرجمة الألمانيّة للعمل السّابق، و*"الكتاب الأساسيّ في الصّوتيات"* (****)، "كوبنهاغ" 1912 - لتشهد بتوجّه البداية المشار إليه.

ثمّ انصرف إلى دراسة الإنقليزيّة واللّسانيّات التّاريخيّة الإنقليزيّة منذ سنوات 1891 - 1893، ولعلّ ذلك بسبب أن "ك. نيروب"، وهو المبوّب لأن يصير المختصّ في الفرنسيّة "بالدّانمارك،" قطع عليه بذلك طريق التّرقّي في سلك جامعي بدأه في هذا اللّسان منذ سنة 1887. وكان له كرسيّ الإنقليزيّة "بكوبنهاغ" من سنة 1893 إلى سنة 1925 وهو التّاريخ الذي قرّر فيه إخلاء

(*) "Fonetik".

(**) "Lehrbuch der Phontiek".

(***) "Phonetische Grundfragen".

(****) "Elementarbuch der Phonetik".

المنصب / للشبّان. ونشر أثره الجليل *"النّحو الإنقليزيّ الحديث على أسس تاريخيّة"* (*) في ثلاثة أجزاء وسبعة مجلّدات "كوبنهاغ" 1909 - 1949، وهو أثر اختصرت خلاصته في مصنّف صغير عنوانه *"نموّ اللّسان الانقليزيّ وبنيته"* (**) (لايبزيغ، 1905، الطّبعة التاسعة ظهرت سنة 1938) وله اهتمام بتعليم الألسنة إذ قدّم في هذا الشأن مصنّفا عنوانه : "كيفيّة تدريس لسان أجنبيّ" (***) (التّرجمة الإنقليزيّة، لندن 1904، أعيد نشره خمس مرّات أو ستّا؛ التّرجمة الإيطاليّة "Come insegnare una lingua straniera"، فلورنسة 1935). وهو إلى ذلك أحد باعثي المجموعة التّربويّة التي روّجت *المنهج المباشر* لتدريس الألسنة سنة 1890 على وجه التقريب زد على ذلك أنّ "ياسبرسن"، شأنه في ذلك شأن طائفة من أئمّة اللّسانيات والمنطق في جيله، اهتمّ أيضا بمشكل الألسنة الكونيّة المساعدة ووضع لسانا منها هو "النّوفيال" (****) (انظر : *"لسان عالميّ"*، (*****) لندن، 1928، *"معجم النّوفيال"*، (******)، لندن، 1930).

وقد كان رائده في ذلك، أكثر من أيّ رجل آخر، ميله إلى المنطق وواحدة من أقدم نظريّاته وأشدّها علوقا بقلبه ولصوقا بنفسه : وقوامها أوّلا فكرة أنّه يمكن تقويم الكمال الدّاخليّ في لسان ما باعتباره تعبيرا عن الفكر بمقارنة مردود التفاهم بالاقتصاد في الصّيغ اللّغويّة، وقوامها ثانيا فكرة أنّ مجموع التّغيّرات الإيجابية يتغلّب على جملة التّغيّرات السّلبيّة باعتبار أن المردود كامن في الاقتصاد سواء تعلق الأمر بلسان معلوم أو بالألسنة جميعا - وهو يعدّد من هذا "التقدّم" أكثر أنواعه المقرّرة كونيّا في رأيه : فمن ذلك التّبسيط المتدرّج في النّبر الموسيقيّ واقتضاب الدّوالّ ونموّ البنى التّحليليّة أي

(*) Modern English Grammar on Historical Principles

(**) Growth and Structure of the English Language

(***) How to Teach a Foreign Language

(****) Le novial

(*****) An International Language

(******) Novial Lexike

غير الإعرابيّة والحرّيّة التّركيبيّة وتقعيد الصّيغ اللّغويّة بواسطة القياس والرّبح المتعلّق بالدّقّة والتّجريد على حساب مظهر الكلمات المحسوس ("*التّقدّم في اللّغة بالإحالة على الإنقليزيّة خصوصا*" (*)، لندن، "سوان" و "سننشاين" 1894، الفصل التاسع، ص 328 - 365). وقد رأى "مارتيناي" عن صواب
7 أنّ هذه السّمة التي يمكن أن تبدو لنا اليوم / سمة نزوع طوباويّ من صاحبها تفسّر، بضدّ ذلك، على نحو محسوس جدا، بمقاومة شديدة طبعت ذلك العهد : وهي مقاومة الأسطورة التي أذاعها النّحو المقارن الألمانيّ وصورتها أنّ العصر الذّهبيّ لكمال الألسنة كان يتنزّل دوما في قمّة ما قبل تاريخ هذه الألسنة وأنّ تاريخها إنّما هو دائما تاريخ انحطاط أشكالها وبناها ("دراسة الكلمة" (**) ص 1).

أمّا في اللّسانيّات العامّة فليس من اليسر حصر فكره في مصنّف واحد فقد ترك لنا أثرا عنوانه "*فلسفة النّحو*" (***)، لندن، "ألّن" و "أنون" 1924؛ ومجلّدا عنوانه "*البشريّة والأمّة والفرد من وجهة نظر لسانيّة*" (****) أسلو" 1925؛ وكذلك مصنّف "*علم التّركيب التّحليليّ*"(*****)، كوبنهاغ، 1937؛ ومجلّدا من "الورقات المختارة" (******) عنوانه "*اللّسانيّات*" (*******)، كوبنهاغ، 1935؛ وهو مجلّد ينقل على وجه الخصوص تقديمه "*لدروس*" "سوسّير" في "Nordsk Tidsskrift for Filologi" سنة 1917، وإنّ المؤلّف الجليل الذي يغذّي هذه المصنّفات التي أتينا على ذكرها ويلخّصها جميعا هو مؤلّف قائم الذّات رغم أنّه سابق لها ونقصد بذلك "*طبيعة اللّغة ونموّها وأصلها*" (********)، لندن، "ألّن" و "أنون" 1922 (لاحقا : *ط.ل.ن.أ*).

(*) Progress in Language with Special Reference to English

(**) Word Study

(***) Philosophy of Grammar

(****) Mankind, Nation and Individual from a Linguistic Point of View

(*****) Analytic Syntax

(******) Selected Papers

(*******) Linguistica

(********) Language, its Nature, Development and Origin

ولا ريب في أنّ ما يجعله حيًا بيننا اليوم ليس مظاهر مروقه من المألوف ولا كلفه بالبرهنة على أنّ التّطوّر يسير نحو تقدّم بطيء ولكنّه مع ذلك متّصل وفق الأسلوب الدّاروينيّ بانتقاء أصلح الصّيغ اللّغويّة وليس هو أيضا إيمانه بلسان عالميّ اصطناعيّ. ولنلاحظ مع ذلك أنّه من الأمور المقطوع بثبوتها تأثيره في موقف البلدان الاسكندنافيّة النّشيط في خصوص التّخطيط اللّغويّ أي التّدخّل الواعي قصد تهذيب أداة لغويّة قوميّة ("مارتيناي، المقالة المذكورة، ص2). وإن هو ظلّ واحدا من أئمة الصّوتيّات فليس ذلك بسبب أنّه صاحب *"كتابة صوتيّة مقيّدة"* (*) في هذا الشأن. (وهي الكتابة المستقصية لجميع الخصائص الصّوتيّة في صوت ما) وقد نالت حظوة عند "بلومفيلد" وسميّت "بالكتابة غير الأبجديّة" (**). وهو نظام متميّز عن الأبجديّة الصّوتيّة العالميّة (***) التي / هي *"كتابة صوتيّة مطلقة"* (****) : فهذا الأمر لا 7 يعني إلاّ الاختصاصيّين وتاريخ الصّوتيّات رأسا، وإنّما لما له أيضا من المناقب باعتباره مختصّا في الإنقليزيّة.

وهو لا يعدم جوانب طريفة في اللّسانيّات العامّة : ذلك أنّه الرّجل الذي خالف آراء أهل عصره مخالفة بيّنة في مسائل معلومة. فقد جعل النتائج التي عرضها القسّيس "روسلو" في مصنّفة *"مبادئ في الصّوتيّات التجريبيّة"* (1897-1901) محلّ جدال. ونقد نقدا شديدا النحاة الجدد في أطروحتهم الجوهريّة حول أسباب قوانين التّغيّر الصّوتيّ الشهيرة. وهو ليس أقلّ مخاصمة لنظريّة البنى السّفلى التي تعارض نظريّة النّحاة الجدد بالرّأي القائل إنّ تغيّرات صوتيّة شتّى في لسان غاز تفسّر بتأثير اللّسان المغزوّ (من ذلك أنّ الكلمات اللاّتينيّة التي صدرها *f* (فاء) مثل كلمة *"filius"* أي "ابن"، تفقد هذه الفاء لتحلّ محلّها *h* (الهاء) في الإسبانيّة : ولذلك فإنّ كلمة *"hijo"* أي "ابن" تفسّر بالتأثير المستتر للّسان الإيبيري في زعمهم).

(*) narrow transcription

(**) notation analphabétique

(***) L'Alphabet phonétique international (A.P.I)

(****) broad transcription

غير أنّه تعرّض على وجه الخصوص *"لدروس"* "سوسّير" تعرّضا لم يحالفه فيه التوفيق هذه المرّة : فلئن كان يسلّم بأن اللّحظة الوصفيّة في د راسة اللّسان - أي الآنيّة يحقّ لها أن تتبوّأ منزلتها من علم اللّغة مساوية في ذلك لحظة الدّراسة التّاريخيّة - أي الزّمانيّة - فهو يرفض فصل اللّحظتين بعضهما عن بعض شأنه في ذلك شأن "ويتناي" و "مايّي" و"مارسيل كوهين" وشأن كثيرين غيرهم (راجع "ج مونان"، *"سوسّير"*، "سيغر"، 1968، ص 41 - 49). وقد رفض ذلك متذرّعا بأنّ معرفة ماضي لسان ما تبيّن (للّسانيّ) أسباب بنيته ومجراه الحاليّين، فقد كتب يقول في الصّفحة الأولى من مصنّفه *"نموّ اللّسان الإنقليزي وبنيته"* ملخّصا مبادئ مصنّفه : *"النّحو الإنقليزيّ الحديث على أسس تاريخيّة"*، (وتأكيد العناوين لا يخلو من معنى) : "في هذا المجلّد سأجتهد في بيان الخصائص الجوهريّة المخصوصة باللّسان الإنقليزيّ وفي تفسير نموّ هذه الخصائص المتّصلة ببنيته وكذلك في تفسير دلالتها، وهي خصائص دائمة الأهمّيّة [على / مرّ العصور وكرّ الدّهور]. أمّا حقب التّاريخ الغابرة، على ما لدراستها من أهمّيّة، فلن تؤخذ بعين الاعتبار إلاّ متى أبانت لنا عن الخصائص الرّئيسيّة في الإنقليزيّة اليوم سواء كان ذلك على نحو مباشر أو بواسطة المفارقة والمباينة". ورغم ما في مثل هذه الصّياغة من حذق فقد كانت (مع إلحاح "سوسّير" وتنبيهه على سوء الفهم هذا لا سيّما في "دروس" ص 135) غبنا للطّابع الابستيمولوجي والمنهاجيّ الثّوريّ في الثّنائيّة السوسّيريّة.

ويعترض "ياسبرسن" أيضا بصورة أقلّ مباشرة على اعتباط العلامة مخصّصا فصلا كاملا من مؤلّفه (XX، ص 396 - 411) لمعالجة مشاكل مايسمّى *"Sound Symbolism"* أي مشاكل الرّمزيّة الصّوتيّة؛ ولا يسيء أيّ قارئ أنقلوسكسوني فهم دلالة هذا الفصل النّظريّة والسّجاليّة، والسّبب في ذلك، بدون شكّ أنّ الظّاهرة قابلة لأن تدرك في الإنقليزيّة على نحو شديد الجلاء. وقد تحدّث بلومفيلد" نفسه، ولكن في احتراز شديد، عن "تشابه صوتيّ رمزيّ" وعن "إيحاءات ذات كثافة رمزيّة"، وهو يتحدّث، على وجه

أدقّ، عن "نماذج رمزيّة *إنقليزيّة*" ليست رمزيّة وجوبا في غير الإنقليزيّة، وعلى ذاك الغرار هذه السّلسلة : *"What"* وتعني "ماذا ؟" "وأيّ" ؟ في حالة الاستفهام، "وما" في حالة اسم الموصول لغير العاقل، *"When"* أي "متى"؛ *"Where"* وتعني "أين؟" و"حيث"، *"Which"* وتعني "ماذا" ؟ "وأيّ" ؟ في حالة الاستفهام، "والذي" في حالة اسم الموصول لغير العاقل، *"Why"* أي "لماذا"، *"Who"* وتعني "من" ؟ في حالة الاستفهام "والذي" في حالة اسم الموصول للعاقل، *"Whither"* ومعناها "إلى حيث". فمحّض أربع صفحات لهذه الظّواهر المحدودة (*[اللّغة]*، ص 227 - 230) وهي صفحات تقيّد اعتباط العلامة على نحو هامشيّ جدا، أكثر ممّا تناقضه وتنكره. زد على ذلك أنّ "بلومفيلد" لا تظهر عليه شدّة الاهتمام باعتباط العلامة، فهو، فيما يبدو، بديهيّ عنده.

أمّا "ياسبرسن" فهو يستشهد "بهمبولدت" مقرّا إيّاه على ما ذهب إليه. وكان "همبولدت" يؤكّد أنّ "اللّغة تختار تعيين الأشياء بأصوات تنشئ في الأسماع، من ذاتها في بعض الوجوه، وقياسا إلى أصوات أخرى في كثير من الوجوه، ارتساما يشبه وقع الشّيء في الذّهن، وعلى هذا المنوال فإنّ "*stehen*" أي "وقف" و "*stätig*" أي "ساكن" و"*starr*" أي "ثابت" تنشئ ارتسام الاستقرار". وإنّ قدم "ياسبرسن" لأشدّ رسوخا في اللّسانيّات من أن يهمل بيان حدود الظّاهرة على نحو أمتن ممّا فعله "همبولدت" / ولذلك ترى أنّه سرعان ما يستطرد قائلا : "لعلّه من المحال عقلا أن نزعم أنّ جميع الكلمات في جميع العصور وجميع الألسنة لها دلالة تناسب جرسيّتها تمام المناسبة وأنّ لكل جرسيّة بدورها دلالة معرّفة تعريفا ثابتا لا يتغيّر" (*ط.ل.ن.أ*، ص 397). ويدقّق الأمر جيّدا فيقول إنّه "يوجد شيء ما هو بمنزلة رمزيّة جرسيّة في بعض الكلمات [فحسب]" (*في الموضع نفسه*)، وإنّه "لا لسان يبلغ الغاية في استعمال الرّمزيّة الصّوتيّة" (*في الموضع نفسه* ص 406 - 408) وإنّه "من شأن اللّسانيّين اللاّحقين أن يبيّنوا المجالات التي تكون فيها هذه الرّمزيّة الصّوتيّة ممكنة والأصوات التي يمكنها أن [تجلّي هذه الرّمزيّة]" (*في الموضع*

نفسه ص 398). وهو يقرّ إقرار "همبولدت" نفسه بأنّ الأمر يتعلّق أوّلا، في هذا المقام، بفرضيّة في أصل اللّغة وأنّ "الكلمات التي كانت تعبيريّة يمكن أن تزول عنها هذه الصّفة" (ص 397 و 406 - 408). أمّا الذين يعترضون على ذلك اعتراضا شديدا، على غرار ما فعل "ويتناي"، بأن قالوا إنّما يتعلّق الأمر ههنا بظاهرة عرضيّة لا سبيل إلى قياسها بعموم اعتباط العلامة، فإنّه يقابل، اعتراضهم هذا "بحدس الباحث الذي ينير له سبيله في هذا الشّأن" (ص 397 - 398) : وهو مؤمن بأنّ كلمة *"fouet"*، أي "سوط" في الفرنسيّة، بصدرها الذي هو *f* (فاء) هي أقلّ تعبيريّة من *"whip"* أي "سوط" في الإنقليزيّة، بطرفها الذي هو *P* (پاء). وهو يكثر، على وجه الخصوص، من التّحليلات (ص 399 - 411) التي يزعم أنّها براهين ساطعة وحجج دامغة : فمن ذلك أنّ الصوائت القصيرة تنزع إلى الرّمز إلى الأشياء الصّغيرة كما في قولهم *"little"* وتعني "صغير" أو "قليل من" في الإنقليزيّة، و *"petit"* أي "صغير" في الفرنسيّة، و *"piccolo"* أي "صغير" في الإيطاليّة و*"kid"* أي "جدي" في الإنقليزية و*"kind"* أي "طفل" في الألمانيّة (وذلك رغم حضور *"big"* أي "كبير" أو "ضخم"، و *"thick"* أي "سميك" أو "كثيف"، إلخ.، قريبا منها، ص 402 - 403 و 406). ويمكن أن نستمرّ في هذه المسألة على رأي نراه وصورته أنّ "موريس غرامّون" هو الذي صاغ أشدّ الصياغات علميّة طبيعة ظواهر الرّمزيّة الصّوتيّة وبعدها وإواليّتها البسيكولوجيّة والثقافيّة مثلما صاغ إواليّتها الفسيولوجيّة، فقد كتب ما يلي : "إنّ ما قلناه في شأن الصّوائت سنعيد قوله في شأن الصّوامت : ذلك أنّ القيمة المنسوبة إليها ههنا *والتي ليست لها إلاّ بالقوّة* لا تصبح واقعا إلاّ متى *تهيّأت لذلك دلالة الكلمة* التي توجد فيها هذه الصّوامت" (*مؤلّف في الصّوتيّات*، ص 395). ففي الإنقليزيّة يمكن أن توحي كلمات *"gleam"* أي "ضوء خافت"، و *"glimmer"* أي "تلألأ خافتا" /، و *"glitter"* أي "لمعان"، و *"gloom"* أي " قتامة"، و *"glamour"* أي "جمال باهر" للنّاطقين بهذا اللّسان باقتران بين *"gl"* (قُلْ) و"الضّوء"، ولكن ما عسى أن يكون رأينا في هذه الكلمات الفرنسيّة : *"glaireux"* (وهو صفة لما شابه آح البيضة) و*"gluant"* أى "لزج" و*"glacé"*

أي "جامد" و"*globuleux*" أي "ذو كريّات" و"*glissant*" أي "دحض للزّلق من الأمكنة" و *glouton* (للأكول الشّره) و *glander* أي "بطل من العمل" و la saint glin-glin أي "أبدا"؟

وأخيرا، في خصوص النّقاش الذي أثارته الثّنائيّة السّوسّيريّة التي تقابل اللّسان بالكلام - وهي أكثر الثنائيّات اقتضاء للجدل - يذهب "ياسبرسن" في إصرار إلى تأكيد قيمة الفرد أي إلى تأكيد دور الكلام وذلك فيما يتّصل "بعلاقات الفرد بالمجموعة اللّغويّة" (وهذا عنوان مقالة له ظهرت بالفرنسيّة في "*مجلّة علم النّفس*"، 1927)، ويذهب إلى الإلحاح على أنّ كلام الفرد إنّما هو المعطى القابل للملاحظة في المقام الأوّل، وهو الملاحظ دون سواه وأنّ الطّفل إنّما يتدرّب على الكلام آخذا ذلك عن فرد أو أفراد آخرين يتكلّم بعضهم تلو بعض - ولكنّه لا يأخذ ذلك مطلقا من المجموعة من حيث هي مجموعة - وأنّ كلّ تغيّر في اللّسان سببه فرد بعينه، وصفوة القول إنّ اللّسان السّوسّيريّ المعرّف بأنّه "معدّل" لا وجود له عند المتكلّمين "وإنّما وجوده مقتصر على فكر المنظّر". وكلّها، ما عدا هذا الأمر الأخير، أمور كان "سوسّير" رآها وصدع بها (راجع "*دروس*"، ص 138 و 230 مثلا، وراجع ج. مونان "*سوسّير*"، سيغر، 1968، ص 34 - 41)، وهي لا تجرّح صحّة متصوّر اللّسان : فلا ريب في أنّ اللّسان واقع مجرّد ولكنّ له وجودا حتّى في العادات المكوّنة للنّظام الذي يستعمله المتكلّم الفرد.

ولقد أصاب "دي مورو" في حديثه عن "قصور" ياسبرسن عن الفهم قصورا بيّنا" في جميع هذه المسائل المتّصلة بسوسّير(*[دروس]*، ص 345) ذلك أنّ "ياسبرسن" يظهر في هذا المقام ظهوره في غيره رجلا بعيد الغور، ثاقب الذّهن ثريّه، على أنّه ربّما ظهر وقد دخل فكره الخلل تتجاذبه فيما يبدو جميع نزعات العصر المهيمنة وذلك إبّان الإعداد النّظريّ. وهذه النّزعات هي التّاريخانيّة المتغلّبة والنّفسانيّة الفاتحة والسوسيولوجيّة النّاشئة. وليس في الجانب الملموس من / اعتراضاته ما يخالف وجه الصواب قطعا، بيد أنّه يجوز لنا في هذا الشأن أن نعيد ملاحظة "سوسّير" التي تنمّ عن عمق نظر وهي "أنّ

اكتشاف حقيقة ما هو، في الغالب، أمر أيسر من إحلالها المحلّ الذي يُناسبها" [من نظام المعرفة الذي تكوّنه نظريّة] ("دروس"، ص 100) وإنّ عدم فهم العلماء بعضهم بعضا مثلما هو شأن "ياسبرسن" "وسوسّير" اللّذين يهيمنان على إنتاج عصر أو توجّهه ليظلّ دوما مقتضيا للدّراسة في تأريخ واقعيّ ملموس.

ولا ريب أنّ "لياسبرسن" صفات أخرى حقيقة بأن تظلّ حيّة في ثقافة اللّسانيّين وتفكيرهم. ويمكن أن نزعم أنّه يتبوّأ عن استحقاق مكانا بين روّاد المتصوّر العلميّ الذي هو الصّوتم. ومن الأمور المحقّقة أنّه علّم منذ سنة 1904 تمييز حالتين تمييزا جيّدا متأسيا في ذلك بأستاذه "سويت" وهما الحالة التي يصلح فيها صوتان قريبان قرابة صوتيّة شديدة *لمقابلة* دلالات (من ذلك مثلا أنّ *الضّمّة* المنفتحة /ɔ/، *والضّمّة* المنغلقة /o/ تميّزان في الفرنسيّة *"mort"* أي "ميّت" من *"maure"* أي "مغربيّ" : فهما صوتان مختلفان) (*) والحالة التي ليس فيها لصوتين هذه الوظيفة التّمييزيّة وإن كانا مختلفين اختلافا بيّنا من النّاحية الصّوتيّة (ومثل ذلك في الإسبانيّة صوت الدّال [د] الشّديد في قولهم: *"fonda"* أي "فندق" وصوت الذّال [ذ] الرّخو في قولهم "nada" أي "لا شيء" وهو ما ينطق [نَذَ] وهذا قريب من الصّوت الذي في كلمة *"neither"* النّافية في الإنقليزيّة ‹والصّوت الذي في كلمة *نبذ* العربيّة›. فلا وجود ههنا إلاّ لبديلين تعامليّين من صوتم /د/ الإسبانيّ (**). ولكنّ "ترويتسكوي" مصيب، بدون شك، عندما قال في هذا الشّأن "إنّ "سويت" و"ياسبرسن" لم يتفطّنا إلى هذا المبدإ في جميع ما يترتّب عليه ‹من نتائج›"، وهو على حقّ حين استطرد قائلا : "إنّ هذين العالمين، بدون استخلاص أي نتيجة منهاجيّة من هذا المبدإ، قد واصلا دراسة الأصوات وجميع التّقابلات

(*) شبيه بهذا في العربيّة قرب صوت الصّاد من صوت السّين فلا يفرّق بينهما إلاّ التفخيم والتّرقيق ومع ذلك فهما يصلحان لمقابلة دلالات فتقول صعد بمعنى "ارتقى" وسعد ضد "شقي".

(**) من أمثلة ذلك في عربيّة تونس أن اختلاف صوت القاف اللّهوي المهموس عن صوت الڤاف الذي هو عبارة عن كاف مجهورة، لا يؤدّي إلى تقابل في الدّلالات ولا تترتّب عليه وظيفة تمييزيّة وهكذا يستوي في المعنى "قال" "وڤال" لذلك كانا بديلين من صوتم واحد هو صوتم /ق/. على أنّ الأمر ههنا لا يتعلّق ببديلين تعامليّين وإنّما ببديلين مطلقين يقتضيهما التّنوّع اللّهجيّ والجغرافيّ.

التّصويتيّة وفق نفس المناهج الصّوتيّة المحض" [مثل أسلافهما من علماء الأصوات] ("الصوتميّة الحاليّة"، ص 143 ؛ وانظر أيضا ص 151، م 11). ولأنّ "تروبتسكوي" نفسه قد استطاع استخلاص جميع هذه النتائج، فإنّا نتبيّن اليوم كم كان "ياسبرسن" - وهو بالنّسبة إلينا رائد بصورة *ما بعديّة* - قريبا من اكتشاف نظريّة قويمة في الأصوات اللّغويّة، وهو الأمر الذي لم ينجزه. /

ولعلّه لا شيء من كلّ هذا الذي يبيّن منزلة "ياسبرسن" في تاريخ للّسانيّات يشرح، مع ذلك، ما يمكن اعتباره استمرارا لفكره بل معاصرة - ومن أدلّة هذه المعاصرة أن يستمرّ اليوم تحديدا أكثر من إمام في اللّسانيات من طراز "مارتيناي" على النّصح بمطالعة مؤلّف "ياسبرسن" في عداد ما ينصحون به من مطالعات ناجعة وأساسيّة يبتدئ بها اللّسانيّ الرّيّض (*مبادئ في اللّسانيّات العامّة*، الطّبعة الثّانية، ص 209). وزيادة على "أنّه يخبر عن تاريخ اللّسانيّات إخبارا نافعا" - وهذا ما كان صحيحا إلى حوالي سنة 1960، بما يشتمل عليه المؤلّف من صفحات تناهز المائة، أي ربع المجلّد تقريبا، خصّصت لهذا الغرض - فإنّ "مارتيناي" يلفت نظر القارئ إلى مظهر آخر من المصنّف مهمل وهو المحل الرّفيع الذي أحلّ فيه "ياسبرسن" مشكل تعلّم الطّفل للّسان" : وهذا ربع آخر من المؤلّف يظل يغري بالمطالعة، أضف إلى ذلك بحثا رائعا، بالنّظر إلى عصره، عن التّواصل عند "الأطفال الذّئاب" لتّواصل معهم.

بيدأنه يمكن أن نرى أيضا أنّ ما قاله "ياسبرسن" في شأن التّركيب لم ستنفد جميع فضائله في الحضّ على مطالعته. وكان قد فكّر في وسم مصنّفه *فلسفة النّحو* بعنوان هو "*منطق النّحو*" (*) متشبّعا في ذلك بسنّة دانماركيّة لت فيها الصّلات بين المنطق واللّسانيّات وثيقة : غير أنّه ربّما لم يكن في لك مكمن زبدة فكره. ولعلّ متصوّر ما يسمّى عنده "*nexus*" (أي جمول")، وهو المتصوّر الذي عاد إلى استعماله هذه الأيّام بعض

Logic of Grammar

الاختصاصيّين في الألسنة الإفريقيّة باعتباره أداة وصفيّة، لا يضيف مرّة أخرى سوى مصطلح متقعّر إلى مفهوم النّواة الإسناديّة أو الملفوظ الأدنى أو الجملة النّواة (والمصطلحيّة مغرقة في ثرائها كما ترى). زد على ذلك أنّه مفهوم يجمع "ياسبرسن" بينه وبين مفاهيم أخرى في هذا الموضع ممّا يجعل المتصوّر على جانب من الغموض. أمّا ما يسمّيه *"ranks"* <ومعناه "المرتبتان"> في علم التّركيب فهو يشبه من جميع وجوهه، مسبّقا، مفهومي الوظيفة الأوّليّة والوظيفية غير الأوّليّة - لأنّه لا بدّ من الإلحاح على أنّ وصفه التّركيبيّ يميّز دائما الوظيفة من الشّكل. وأمّا مفهوم ما يسمّى *"shifters"* عنده، وهو أيضا مفهوم على قدر كبير / من الجدّة أخذه عن "سويت"، فهو يبيّن أبواب الكلمات التي يتغيّر معناها بتغيّر الموقف : وكان يقصد بذلك كلمات مثل *"أبي"* و *"أمّي"* وجميع الضّمائر العينيّة وكذلك كلمات من مثل *"هنا"* و *"الآن"* و *"أمس"* إلخ. ونحن نعلم ما أراده "جاكبسن" لهذا المتصوّر من إبراز له وإظهار شأنه (وقد ترجمه "رويت" إلى الفرنسيّة مسمّيا إيّاه *"embrayeurs"* أي *"وصول* : ج واصل")، ولكنّ ذلك لم يتسنّ له دون لبس محسوس. فالمشكل لذي أثاره "ياسبرس" يظل مطروحا عند هذا الرّجل على نحو شديد.

وقد أبرز "مارتيناي" أيضا ميراثا من المواريث التي قلّ أن ينسبها رثة "ياسبرسن" إلى أنفسهم رغم أنّه من أغزرها نفعا وأمرعها جنابا، ونعني لذلك آراءه في إواليّات التّطوّر اللّغويّ التي نسمّيها اليوم التّحليل الزّمانيّ لبنيويّ. فهو يلاحظ قائلا : "إنّ ثلاثة من أئمة الصّوتيّات كانت تجمعهم شائج تقدير وصداقة، أعني "هنري سويت" الإنقليزي و"أتّو ياسبرسن" لدانماركيّ و"بول باسّي" الفرنسيّ، يشتركون منذ ثمانينات القرن الماضي في ملة من الآراء في طبيعة التّغيّرات الصّوتيّة توافق كثيرا آراء زمانيّي هذا لعصر. ولا حاجة لنا ههنا في تأكيد طرافة مساهمات "ياسبرسن" في العلم هو من اللّسانيّين الأفذاذ في النّصف الأوّل من هذا القرن، أو مساهمات سويت" الذي عاش مغمورا غير أنّه أنصف أيّما إنصاف بعد ذلك (اقتصاد

(*) ص 42).

وبعد أن يبيّن "مارتيناي" طرافة آرائهم - وهي آراء ‹اللّسانيّين› اليوم ذاتها في تنازع قانون المجهود الأدنى عند المتكلّم من جهة أولى (وهذه مسألة يرث فيها "ياسبرسن" سنّة دانماركيّة ترجع إلى "راب" و"برادسدورف" في ثلاثينات القرن التّاسع عشر)، وضرورة الحفاظ على تفاهم المتكلّم والسّامع من جهة أخرى - ينتهي إلى هذه الملاحظة الحريّة بالتّأمّل أكثر من أي وقت مضى وصورتها "أنّ الأمر الوحيد الذي يمكن أن نعيبه على ["باسّي" في] هذه الجمل القليلة هو بساطتها وبيانها اللّذان ينزعان / إلى إيهام القارئ بأنّ ما يقدّم له إنّما هو حقائق بديهيّة وذلك عندما يغنيان ذهنه عن كلّ مجهود. فيجوز لنا القول دونما تهكّم إنّ وضوح "باسّي" [و"ياسبرسن" أيضا في هذه المسألة] في العرض قد حال دون انتشار فكره" (*في الموضع نفسه*، ص 44).

أمّا عن "ياسبرسن" نفسه فإنّ ما استخلصه "مارتيناي" يمثّل في آن واحد شهادة اعتراف بالجميل العلميّ لافتة للنّظر - وهو أمر نادر في غير ما يكتب بعد الوفاة من عروض موجزة حيث التقريظ واجب - وشهادة تنمّ عن بصر بالتّقويم التّاريخيّ، فهو يتابع كلامه قائلا : "يمكن أن نستغرب أنّ هذه الفكر التي يشترك فيها ثلاثة أئمّة أعلام في ثلاثة بلدان مختلفة لم يكن لها وقع أعظم ممّا كان. ونحن نعثر عليها عند "أتّو ياسبرسن" (راجع مثلا الفصلين الرّابع عشر والخامس عشر من مؤلّف *ط.ل.ن.أ.*) الذي كان أعظم الثّلاثة تأثيرا، فنلفيها فكرا على جانب من الاستقصاء، تستخدم لمعالجة الحالات الملموسة في تفصيلها، تضاف إليها شروح ذات بال. *فمن هذا الرّجل عرف كاتب هذه السّطور* [أندري مارتيناي] *هذه الفكر قبل أن يكون عرفها في الكتابات الصّوتميّة المحض* [...] واليوم، وقد تقدّمنا في البحث، ندرك السّبب في أنّ هذه الفكر لم تلفت نظر المعاصرين كثيرا ولم تحثّهم على محاولة تطبيقها تطبيقا معمّما على مشاكل التّطوّر التّصويتيّ المعلّقة : ذلك أنّ هذه

(*) عنوان المصنّف كاملا هو : "اقتصاد التّغيّرات الصّوتيّة" Economie des changements phonétiques".

(*) ص 42).

وبعد أن يبيّن "مارتيناي" طرافة آرائهم - وهي آراء ‹اللّسانيّين› اليوم ذاتها في تنازع قانون المجهود الأدنى عند المتكلّم من جهة أولى (وهذه مسألة يرث فيها "ياسبرسن" سنّة دانماركيّة ترجع إلى "راب" و"برادسدورف" في ثلاثينات القرن التّاسع عشر)، وضرورة الحفاظ على تفاهم المتكلّم والسّامع من جهة أخرى - ينتهي إلى هذه الملاحظة الحريّة بالتّأمّل أكثر من أي وقت مضى وصورتها "أنّ الأمر الوحيد الذي يمكن أن نعيبه على [*"باسّي" في*] هذه الجمل القليلة هو بساطتها وبيانها اللّذان ينزعان / إلى إيهام القارئ بأنّ ما يقدّم له إنّما هو حقائق بديهيّة وذلك عندما يغنيان ذهنه عن كلّ مجهود. فيجوز لنا القول دونما تهكّم إنّ وضوح "باسّي" [*و"ياسبرسن" أيضا في هذه المسألة*] في العرض قد حال دون انتشار فكره" (*في الموضع نفسه*، ص 44).

أمّا عن "ياسبرسن" نفسه فإنّ ما استخلصه "مارتيناي" يمثّل في آن واحد شهادة اعتراف بالجميل العلميّ لافتة للنّظر - وهو أمر نادر في غير ما يكتب بعد الوفاة من عروض موجزة حيث التقريظ واجب - وشهادة تنمّ عن بصر بالتّقويم التّاريخيّ، فهو يتابع كلامه قائلا : "يمكن أن نستغرب أنّ هذه الفكر التي يشترك فيها ثلاثة أئمّة أعلام في ثلاثة بلدان مختلفة لم يكن لها وقع أعظم ممّا كان. ونحن نعثر عليها عند "أتّو ياسبرسن" (راجع مثلا الفصلين الرّابع عشر والخامس عشر من مؤلّف *ط.ل.ن.أ.*) الذي كان أعظم الثّلاثة تأثيرا، فنلفيها فكرا على جانب من الاستقصاء، تستخدم لمعالجة الحالات الملموسة في تفصيلها، تضاف إليها شروح ذات بال. *فمن هذا الرّجل عرف كاتب هذه السّطور* [*أندري مارتيناي*] *هذه الفكر قبل أن يكون عرفها في الكتابات الصّوتميّة المحض* [...] واليوم، وقد تقدّمنا في البحث، ندرك السّبب في أنّ هذه الفكر لم تلفت نظر المعاصرين كثيرا ولم تحثّهم على محاولة تطبيقها تطبيقا معمّما على مشاكل التّطوّر التّصويتيّ المعلّقة : ذلك أنّ هذه

(*) عنوان المصنّف كاملا هو : "اقتصاد التّغيّرات الصّوتيّة" Economie des changements phonétiques".

الفكر، وقد تمّمتها الأطروحات البنيويّة والتّعليم المتعلّق بعدم تناظر الأعضاء، كثيرا ما تسمح بتقديم لوحة على جانب من الاكتمال وذلك في خصوص سببيّة تغيّرات جمّة ؛ ولعلّه لا يسعها وحدها بلا رافد يرفدها إلاّ حلّ بعض المسائل التّفصيليّة وإعادة طرح بعض المشاكل على نحو صحيح" (*اقتصاد*، ص 44).

ويبدو أنّ "يالمسلاف"، الذي عرفه حقّ المعرفة، أدرك مظهرا من المظاهر التي قد تشرح وضع "ياسبرسن" الفريد في لسانيّات عصره ولسانيّات عصرنا. فلعلّ طلب عزو جميع الإنتاج الفكريّ الذي أنتجه باحث إلى التكييفات الإيديولوجيّة المتّصلة بعصره وبيئته لا يعدو أن يكون سوسيولوجيّة مبتذلة أو تانيّة (*) مهذّبة مصطبغة بماركسيّة متزمّتة مهما بلغ طالب هذا الأمر في ذلك من إتقان. فقد كتب / "يالمسلاف" يقول : "كان "ياسبرسن" وحشيّ الغريزة مجبولا على اعتزال الناس، ميّالا إلى الاستبداد برأيه، وكلّ ما ورد عليه من تأثير حقيقة إنّما كان في ميعة شبابه، فيشيب على ما شب عليه ؛ وكان في تشدّده سمة محافظة : فقد كان ينزع في وجه من الوجوه إلى اعتبار وجهات النّظر التي يقول بهاجيله والنّتائج التي استنتتجوها منها معطيات نهائيّة. وكانت به نزعة إلى إنكار فضل التقدّم النّظريّ الجديد فلم ير فيه غير لوك واجترار لما فكّر فيه آخرون وكتبوا في شأنه منذ سالف الأزمان [...]، ثمّ استطرد قائلا : "يجوز لنا، إجمالا، أن نستغرب من "ياسبرسن" أنّه لم يكد يعتمد قطّ آراء غيره حتّى عندما تكون قريبة من آرائه قرابة كافية حريّة بتأييدها" (أعمال لسانيّة، ص 129 - 130) وإن يكن "يالمسلاف" قد أفرط في اعتبار نفسه بعض الإفراط وهو يكتب هذه السّطور، فههنا صورة علميّة رسمت رسما يبلغ الغاية في الجودة والحذق؛ ولا يزال في وسع كلّ باحث وكلّ مدرّس أن يتدبّرها متوقّفا متثبّتا.

(*) تانيّة Tainisme : نسبة إلى المفكّر الفرنسي "هيبوليت تان" (1828 - 1893) الذي دأب على تفسير الأعمال الفكريّة والفنيّة بردّها إلى عوامل ثلاثة هي العرق والبيئة والعصر.

"إدوارد سابيـــــر"

"سابير" (1884 - 1939) هو ألمانيّ أمريكيّ ولد "بلوونبورغ" وقدم إلى الولايات المتحدة في سنّ الخامسة؛وقد حصّل جميع ما درسه "بنيويورك" متمًا إيّاه بجامعة "كولومبيا" حيث كان يتهيّأ للتّرقّي في وظيفة مختصّ في الجرمانيّة (1900 - 1904). وفي هذه الجامعة عرف العلاّمة "فرانتز بوعز" (1858 - 1942) وهو عالم أجناس ولسانيّ، وواظب على الأخذ عنه، فحوّر هذا الأمر مساره اللاّحق تحويرا جذريًا. ودرس هنود "وشرام" في ولاية "واشنطن" وهنود "تاكلما" في ولاية "الأوريغون" من سنة 1904 إلى سنة 1907. ووضع نحو "للتّاكلما" سنة 1906 تحصّل به على شهادة ثانية في الدّراسات العليا(فقد كان تحصّل على شهادة أخرى باعتباره اختصاصيًا في الجرمانيّة). ثمّ إنّه تحصّل على شهادة الدكتوراه في "الفلسفة" ("Ph.D") سنة 1909. غير أنّه عمل منذ 1907 - 1908 عالم أجناس بجامعة "كاليفورنيا" حيث تعرّف لسان "يانا" الأمرنديّ. ثمّ درّس بجامعة "بنسلفانيا" (1908 - 1910) حيث اهتمّ بلسان "البايوت". وأصبح، وسنّه آنذاك خمس وعشرون سنة، مدير قسم الأنثروبولوجيا "بالمتحف القوميّ الكنديّ" (*) "بأطاوا" حيث أتيحت له دراسة ألسنة "النوتكا" و"الأتاباسكان" و"التّلنجيت"، وساهم في رحلات استكشافيّة إثنوغرافيّة عديدة مطيلا المقام بين القبائل لهنديّة. ودرّس الأنثروبولوجيا واللّسانيّات بجامعة "شيكاغو" من سنة 1925 إلى سنة 1931، ثمّ بجامعة "يال" من سنة 1931 إلى سنة 1934. وتوفّي سنة 1939 في سنّ الخامسة والخمسين./

وهو عالم بعيد الغور قويّ الشّخصيّة ثريّها، تتعدّى اهتماماته للّسانيّات بل تتجاوز الأنثروبولوجيا بالمعنى العلميّ الأكثر إطلاقا في لمصطلح، فهو يكتب القصائد ويعنى بما يمكن أن تتناول به من تحليل لسانيّ،

(*) "Canadian National Museum".

ومن ثمّ مأتى إجلاله "لكروتشي" ومصنّفه *"الجماليّة باعتبارها علم تعبير و* [باعتبارها] *لسانيّات عامّة"* وهو إجلال يبدو اليوم شاذاً. فقد أشاد به "سابير" سنة 1921 "باعتباره من الأفذاذ الذين أمكنهم إدراك الدّلالة الأساسيّة للّغة [والذين] أكّدوا قرابتها الشّديدة من ميدان الفنّ" (*"اللّغة"*، الطّبعة الفرنسيّة، 1970، ص 5). واستخلص من ذلك قوله : "إنّي مدين لرأيه الثّاقب بالفضل العظيم" (*في الموضع نفسه*). وهو موسيقار وعازف ماهر وناقد موسيقيّ، له دراية "بفرويد" و "بأدلر" اللّذين اقتبس منهما أطروحاتهما في أنثروبولوجيّته المنسوبة إليه، وله معرفة "بيونغ" وقد نقده منذ سنة 1927 في عصر كانت فيه هذه الأمورقليلة التّواتر. وأصبح أيضا أحد باعثي مشروع لسان عالميّ اصطناعيّ مساعد مع "جمعيّة اللّسان العالميّ المساعد" (*)، ولعلّ تاريخ هذا المشروع ونتائجه من الأمور الحقيقة بدراسة مطوّلة (ولقد شارك فيه "ياسبرسن" و "فان فيجك" و "مارتيناي").

وإذا استثنينا ما نشره "سابير" في شأن الألسنة الأمرنديّة المذكورة أعلاه، فإنّ الرّجل ظلّ زمنا طويلا عند الجمهور المعنيّ بأمر اللّسانيّات صاحب مصنّف وحيد عنوانه *[اللّغة]* ("نيويورك"، "هركورت" و "براس"، 1921) لم يترجم إلى الفرنسيّة إلاّ سنة 1953 ("بايو"، ترجمة : "س.-م. غيمان"، مراجعة التّرجمة سنة 1970)، وهو مصنّف يظلّ من بين المؤلّفات الخمسة أو السّتّة الأساسيّة في اللّسانيّات، في النّصف الأوّل من القرن العشرين. وربّما كان الجمهور يعرف، أيضا المقالة الهامّة "واقع الصّواتم البسيكولوجيّ" وقد ظهرت مترجمة إلى الفرنسيّة في العدد الاستثنائيّ من *"مجلّة علم النّفس"* وهو عدد كانون الثّاني (جانفي) - نيسان (أفريل) سنة 1933 وقد أعاد "باريانت" نشرها (ص 167 - 188). وكانت هذه المقالة تنقيحا شاملا لمقالة ظهرت سنة 1925 عنوانها "مناويل الأصوات في اللّغة" (**) (مجلّة

(*) "International Auxiliary Language Association : I.A.L.A)."

(**) "Sound Patterns in Language"

اللّغة]، 1، 1925، ص37-51 ؛ ظهرت التّرجمة الفرنسيّة في عمل "باريانت"، ص143-164). وقد تهيّأت للجمهور الفرنسيّ في السّنوات الأخيرة / أيسر السّبل إلى أعمال "سابير" بفضل مجلّدات عديدة من المقالات المترجمة (1) : *"أنثروبولوجيا، 1 (الثّقافة والشّخصيّة")*، عشرون مقالة منها ثلاث في اللّغة ؛ *"أنثروبولوجيا"، 2 ("الثّقافة")*، مع ثلاث قطع لسانيّة (ص 63 - 87،78 - 100 و 101 - 102) ؛ و *"لسانيّات"*. هذه المجلّدات الثّلاثة من منشورات "مينوي"، 1967، 1967، 1968. أمّا مجلّد "أنثروبولوجيا،1،" فقد أعيد طبعه بمقالاته العشرين ضمن منشورات "لوسوي" (مجموعة "نقاط"، 1971) وبذا أصبح من المتاح في الفرنسيّة قراءة زبدة "كتابات "إدوارد سابير" المختارة في اللّغة والثقافة والشخصيّة" (*) التي نشرها "د. ماندلبوم" ("مطبعة كاليفورنيا الجامعيّة (**)"، 1949، 45 مقالة).

ولعلّه يكون من باب التّبسيط المفرط أن نجعل من "سابير" مؤسّس اللّسانيّات الأمريديّة. فقد سبقه إلى ذلك، فور اكتشاف أمريكا، مبشّرون سواء كانوا من الإسبان أو من غيرهم (من مثل الأب "تيفي") وعلماء من أضراب "هرفاس إباندورو" (1787) (2) أو "الهمبولديّين" : أعني الإسكندر الرّحّالة الذي كان يجمع الموادّ و "غيوم" اللّسانيّ الذي كان يحلّلها، فهؤلاء جميعا قاموا بأعمال لا يستهان بها. وفي "أمريكا" نفسها كان النّاظر "باول"، عالم الجيولوجيا الذي صار أنثروبولوجيًا ميدانيًا، يتولّى منذ سبعينات القرن التّاسع عشر تجميع الموادّ تجميعا منتظما وكان يؤسّس ويدير "مكتب علم لأجناس الأمريكيّ" (***) وينشر تقارير سنويّة ويسأل اللّسانيّين من

---

(1) لا يخلو أمر هذه الترجمات من المشاكل التي ينبغي أن يعيها الباحث دوما. فلنفرس على سبيل المثل ترجمتي مقالة "واقع الصّوائم البسيكولوجي" وهما ترجمة سنة 1933 (م. داليمياي) وترجمة سنة 1968 ("بولتنسكي" و سولاي - سوسبيال").

(*) Selected Writings of Ed. Sapir in Language, Culture and Personality.

(**) University Press of California

2) انظر : "ج. مونان" "تاريخ اللّسانيّات منذ نشأتها إلى سنة 1900"، ص 124 و 148.

(***) Bureau of American Ethnology

أضراب "ويتناي" و "بوعز" النّصح والعون. وكان "بوعز"، كما مرّ، ينشّط بدوره البحث في الأمرنديّة تنشيطا عظيما (الوجيز في الألسنة الأمرنديّة (*)، 1911 وهو كتاب قدّم فيه "سابير" وصفا للسان "التّاكلما").
فلـ"سابير" في هذا الشّأن الفضل في كونه رجل / المنعطف الهامّ وفي نجومه 8
في عهد حصول اللّسانيّات على استقلالها التّامّ باعتبارها فنّا علميّا، وله الفضل في تكوين ثلّة من المريدين جميعهم من ذوي الشّأن ومنهم "موريّس سوادش" و "كنّث ل. بايك" و"بنيامين لي وورف". ولا ريب أنّه كان للألسنة الأمرنديّة دور عظيم في إعداد نظريّته في اللّسانيّات العامّة، غير أنّ الفضل يرجع إلى هذه النّظريّة عينها في المنزلة التي يتبوّؤها من لسانيّي القرن العشرين.

وقد انتهى "سابير" إلى مفهوم وجود الصّواتم التي سمّاها في البدء *"مناويل الأصوات"* "بمعزل عن "بودوان دي كورتناي" بل بمعزل عن "سوسّير" ("باريانت"، ص 146 - 147) مثلما أكّد ذلك "تروبتسكوي". ولنلاحظ مع ذلك أنّه لا يسعنا القول إنّ ذلك قد حصل له بمعزل عن "ويتناي" الذي عثر عنده "سوسّير" على كثير من الإشارات والتّنبيهات منها ما يتّصل بهذه المسألة المخصوصة. ومهما يكن من أمر فإنّا نكاد نلفي لدى "سابير" منذ سنة 1921 جميع العناصر المكوّنة لمتصوّر الصّوتم. فنجد عنده بادئ ذي بدء الفكرة الأليفة عند "بودوان" وصورتها "أنّه يوجد نظام داخليّ أو مثاليّ أقرب إلى الحصر يثنّي النّظام الصّوتيّ الموضوعيّ المحض أي النّظام المختصّ بلسان ما والذي لا يمكن بلوغه إلاّ بتحليل صوتيّ عويص..." (*اللّغة*، 1970، ص 55)، وهي عبارة لا ينجاب عنها الغموض، بها يقابل الوصف الصّوتيّ بالوصف الصّوتميّ. وقد لاحظ في هذا الشّأن قائلا : "لقد اكتشفت أنّه كان من العسير بل من المستحيل تدريب هنديّ على تقرير تمييزات صوتيّة لا تناسب نظام لغته في شيء حتّى عندما تقرع هذه التّمييزات أسماعنا الموضوعيّة قرعا

(*) Handbook of American Indian Languages

جليًا، ولكنّي تبيّنت أنّ تنوّعات صوتيّة لطيفة لا تكاد تدرك، كانت تنقل إلى الكتابة في يسر وسرعة شريطة أن تتأتّى لها مطابقة خصوصيّات نظامه الهنديّ مطابقة تامّة. وأنا أشاهد ترجماني النّاطق "بالنّوتكا" يرسم أصوات لغته، كثيرا ما انتابني الشّعور الغريب بأنّه كان يرسم / ما يصله من سيل العناصر الصّوتيّة المثاليّ كما لو كان هذا السّيل، في رأيه، الزّبدة عينها من اللّغط المحسوس في الكلام وذلك من وجهة نظر تنحطّ عن درجة الموضوعيّة الخالصة انحطاطا شديدا". وقد سمّى وحدات هذا النّظام المثاليّ، سنة 1925، *"مناويل الأصوات"* أو *"مواقع في المنوال"* (*) (*"كتابات مختارة"*، ص.42 ؛ *"لسانيّات"*، ص. 148).

يري أيضا أنّ هذه الوقائع البسيكولوجيّة التي يسمّيها "مواقع صوتيّة" (*"لسانيّات"*، ص31) هي، خلافا للأصوات الواقعيّة في المتّصل لفيزيائيّ (**)، وقائع يفصلها ويعزلها ما يدعوه "حواجز بسيكولوجيّة" (*"في الموضع نفسه"*)، أو تفصلها "مسافة" ما أو "عزل" بسيكولوجيّان" (*"كتابات مختارة"*، ص35 ؛ *"لسانيّات"*، ص 146). وهو يقصد بهذه لعبارات التي قلّ فيها الوضوح مرّة أخرى، الشّعور اللّغويّ بما سيسمّى لاحقا تقابل التّمييزيّ بين صوتمين وهو تقابل مؤسّس على "دلالته الوظيفيّة" مثلما صرّح بذلك مرارا وتكرارا. (*"محاولات"*، ص167 ؛ انظر أيضا ما قيل في شأن " الدّال (d) الوظيفيّة" في مجلّد *"لسانيّات"*، ص31 ؛ وانظر أيضا "قيمة الوظيفة" في /ت/ـ/ت ي/ في لسان "الهئدا" مقابلة بغياب قيمة وظيفة هذه في الإنقليزيّة ص 55). وفضلا عن ذلك، يكتنز الفصل الثالث ن *"اللّغة"* والمقالتان البارزتان : "مناويل الأصوات" و "الواقع البسيكولوجيّ" مثلة منقطعة النّظير في ثرائها وقوّة برهانها، وهي أمثلة في شأن الفرق بين ا ينطق به المتكلّم (وهو من باب الصّوتيّات) وما يظنّ أنّه نطق به (وهذا من ب الصوتميّة)، وفي شأن الأبدال المطلقة والتّعامليّة، وفي شأن الفرق بين

(*) Points in the pattern

(**) Continuum physique

خصائص الصّوتم المفيدة وغير المفيدة. "فسابير" يعي أيضا على نحو جليّ مفهوم السّمة المفيدة (*"لسانيّات"*، ص 165) مقابلة "بالتّنوّعات الصّوتيّة الآلانيّة المحض" (*"لسانيات"*، ص 168)، وهو يعي كذلك المفاهيم التّلازميّة المتّصلة بالتّقابل والبنية (*المنوال*) والوظيفة والنّظام. ولعلّ مطالعة تجاربه مع المخبرين الأمرنديّين لا تزال اليوم أعظم نفعا في التّكوين اللّسانيّ / من تمارين كثيرة صيغت على نحو آليّ وتتعلّق بألسنة ليس لها وجود يقال لها *"كالاباس"* (*) وهي تمارين اصطناعيّة مغالية في تبسيط الأمور للرّيّضين، وينبغي بلا ريب أن يعجّل بالإمساك عنها عوض النّزوع إلى جعلها غايات في ذاتها. وفي هذا النّزوع خطر ماثل قد نصادف له نظيرا فيما يقوم به "بايك".

ويبدو "سابير" اليوم قياسا إلى "تروبتسكوي" الذي سيقرّه "سابير" على ما ذهب إليه ويؤيّده منذ البداية (انظر "كلود حجاج،" *"اللّسانيّات"*، 1، 1967، ص 118، 119، 121) من القائلين بالواقع البسيكولوجيّ في تصوّر الصّوتم، ولكن لعلّه يكون من الغلط أن نفرط في التّعجيل بقراءة ما كتبه فيذهب بنا الظّنّ إلى أنّه يقيم البرهان على وجود الصّواتم معتمدا على الشّعور اللّغويّ عند المتكلّمين. فتأكيده واقع الصّواتم البسيكولوجيّ هذا إنّما كان، من النّاحية التّاريخيّة، لمناوأة العقائد (عقائد النّحاة الجدد) المهيمنة على الصّوتيّات آنذاك : وهي التي ترى أنّ "الأصوات و السّيرورات الصّوتيّة تنتمي إلى بنية سفلى فسيولوجيّة محض" أو "إواليّة خالصة" (*السانيّات*، ص 14)، وأنّه يمكن أن نصف أصوات اللّغة وصفا مستقصيا بواسطة مناهج آليّة محض (في *الموضع نفسه*، ص 163) وأن نقوم بعمليّات ترتيب كونيّة زيائيّة خالصة (في *الموضع نفسه*، ص 157). إنّ نظريّة الصّوتم عند "سابير" ليست نظريّة صوتم نفسانيّة رغم عنوان مقالة جوهريّة في هذا الشّأن رغم مصطلحيّتها القليلة الصّرامة في رأينا اليوم، أو قل إنّ طابعها نفسانيّ ينحطّ كثيرا عن درجة عمقها الوظيفيّ. ثمّ إنّ تأكيده وعي الصّوتم

Calabas

خصائص الصّوتم المفيدة وغير المفيدة. "فسابير" يعي أيضا على نحو جليّ مفهوم السّمة المفيدة (*"لسانيّات"*، ص 165) مقابلة "بالتّنوّعات الصّوتيّة الآلانيّة المحض" (*"لسانيات"*، ص 168)، وهو يعي كذلك المفاهيم التّلازميّة المتّصلة بالتّقابل والبنية (*المنوال*) والوظيفة والنّظام. ولعلّ مطالعة تجاربه مع المخبرين الأمرنديّين لا تزال اليوم أعظم نفعا في التّكوين اللّسانيّ / من تمارين كثيرة صيغت على نحو آليّ وتتعلّق بألسنة ليس لها وجود يقال لها *"كالاباس"* (*) وهي تمارين اصطناعيّة مغالية في تبسيط الأمور للرّيّضين، وينبغي بلا ريب أن يعجّل بالإمساك عنها عوض النّزوع إلى جعلها غايات في ذاتها. وفي هذا النّزوع خطر ماثل قد نصادف له نظيرا فيما يقوم به "بايك".

ويبدو "سابير" اليوم قياسا إلى "تروبتسكوي" الذي سيقرّه "سابير" على ما ذهب إليه ويؤيّده منذ البداية (انظر "كلود حجاج،" *"اللّسانيّات"*، 1، 1967، ص 118، 119، 121) من القائلين بالواقع البسيكولوجيّ في تصوّر الصّوتم، ولكن لعلّه يكون من الغلط أن نفرط في التّعجيل بقراءة ما كتبه فيذهب بنا الظّنّ إلى أنّه يقيم البرهان على وجود الصّواتم معتمدا على الشّعور اللّغويّ عند المتكلّمين. فتأكيده واقع الصّواتم البسيكولوجيّ هذا إنّما كان، من النّاحية التّاريخيّة، لمناوأة العقائد (عقائد النّحاة الجدد) المهيمنة على صّوتيّات آنذاك : وهي التي ترى أنّ "الأصوات و السّيرورات الصّوتيّة تنتمي إلى بنية سفلى فسيولوجيّة محض" أو "إواليّة خالصة" (*السانيّات*، ص 14)، وأنّه يمكن أن نصف أصوات اللّغة وصفا مستقصيا بواسطة مناهج اتيّة محض (*في الموضع نفسه*، ص 163) وأن نقوم بعمليّات ترتيب كونيّة زيائيّة خالصة (*في الموضع نفسه*، ص 157). إنّ نظريّة الصّوتم عند سابير" ليست نظريّة صوتم نفسانيّة رغم عنوان مقالة جوهريّة في هذا الشّأن غم مصطلحيّتها القليلة الصّرامة في رأينا اليوم، أو قل إنّ طابعها فسانيّ ينحطّ كثيرا عن درجة عمقها الوظيفيّ. ثمّ إنّ تأكيده وعي الصّوتم

الذي يكون للمتكلّم الأهليّ أو الذي يمكن أن يكون له ليس فيه من المخاطر سوى أمرين : إمّا تقنيع البرهنة الوظيفيّة وإمّا الإلماع إلى أنّ الشّعور اللّغوي عند المتكلّم معصوم من الزّلل. وهذا بعيد عن موافقة الحقيقة ومطابقة الواقع لا سيّما، وهذا أمر شديد الغرابة، في الحضارات التي أخذت بأسباب الثّقافة والآداب حيث سبّب تلبّس الحرف بالصّوت شبهات جليّ أمرها للعيان حتّى عند أكثر علماء الأصوات نبوغا وذلك إلى زمن نجوم الصّوتميّة. فهذه الإحالة المذبذبة على الوعي اللّغويّ عند / المتكلّم و / أو الواصف تارة وعلى لاوعيه تارة أخرى هي التي توشك اليوم أن تضلّل أكثر من قارئ فرويدي - ليفي شتراوسيّ يقبل على قراءة ما كتبه "سابير". بل إنّ موطن الوهن الحقيقيّ عند هذا الرّجل، زيادة على ذهابه مذهب الإباحة المصطلحيّة (*) التي هي سمة شائعة بين الأمريكيّين ماعدا "بلومفيلد"، هو في نزعته إلى تلبيس التّحليل الصّوتميّ بما يمكن أن تستعمل فيه بعض التّقابلات أو الأبدال في الصّيغميّة (وهي الصّرفميّة التي ذكرنا ما فيها من ضعف نظريّ أعلاه، في خصوص "بودوان دي كورتناي").

ولعلّ "سابير" المجدّد بوعي متصوّر الصّوتم ليس أقلّ تجديدا بالمحل الرفيع الذي يُحِلّ فيه متصوّر الشّكل في مصنّف *"اللّغة"* وذلك على نحو مواز "لسوسّير" الذي لمّا تقرأ له كتب بأمريكا سنة 1921. (**) وقد بلغ في عنايته بالشّكل مبلغا ربّما جازلنا معه أن نعتبره أبا اللّسانيّات الشّكلانيّة. فالفصلان الرّابع والخامس من مؤلّفه موسومان بعنوان "الشّكل في اللّغة"، على أنّ متصوّر الشّكل يلفى فيهما وقد عرّف قياسا إلى البنى النّحويّة فحسب أي نسق الألفاظ والزّيادة بجميع أشكالها والنّحت وتناوب الصّوائت والصّوامت والتكرار والنّبر التّنغيميّ.

(*) Laxisme terminologique

(**) يختلف مفهوم الشّكل عند "سوسير" عنه عند "سابير" : فهو في تصوّر الأوّل مقابل للمادّة الدّلاليّة والتّصويتية الخام إذ هو تقطيع مخصوص لهذه المادّة التي لا شكل لها ولا انتظام وإبراز لوحداتها المتفاصلة. وهو في تصوّر الثّاني المظهر المحسوس من اللّغة المقابل للمحتوى أو الدّلالة (انظر "قاموس اللّسانيّات" بإشراف "جان دي بوا" ص 222).

وإنّ في تحليل "سابير" المطوّل هذا أمران يبهران : فأوّلهما أنّه يعي تمام الوعي تشابك المتصوّرين اللّسانيّين الأساسيّين : أعني الشّكل والوظيفة. فهو يقرّر أن لا وجود البتّة من النّاحية الفعليّة لتلازم اقتضاء بين الشّكل والوظيفة ‹على نحو يستلزم فيه الواحد منهما الآخر ويستوجبه› "فالنّظام [نظام الأشكال] أمر، واستعمال هذا النّظام [للتعبير عن وظائف] أمر مختلف (*اللّغة*، ص59). فهو يعلم ويخبر بما يعلمه ص61 - من أنّ الوظيفة (وهي أن يكون لديك أمر ما لتقوله) تسبق الشّكل (وهو أن تقول ذلك على نحو معيّن) (*). غير أنّه يجزم مع ذلك، وهو جزم ذو بال من النّاحية الابستيمولوجيّة بأنّ اللّسانيّات هي دراسة الأشكال "وبأنّا مضطرّون إلى استخلاص نتيجة صورتها أنّ الشّكل اللّغويّ يمكن أن يدرس بل ينبغي أن يدرس على / أنّه نظام بقطع النّظر عن الوظائف المرتبطة به" (*اللّغة*، ص60).

أمّا ثاني هذين الأمرين فهو تعليل هذه الدّرجة الرّفيعة التي أوتيها الشّكل. فمن الجائز أن نعلّل ذلك بمذهبي الوضعيّة في ذلك العصر والذّرائعيّة المحيطة اللّذين كانا يحملان على تناول اللّسان من جانبه القابل للتّناول أعني جانب الدّوالّ. غير أنه يوجد خصوصا، في تعليل ذلك، أمر غريب لا يلتفت إليه وهو تأثير أعمال "همبولدت" الذي أثّرت اطروحاته في أستاذه "بوعز" تأثيرا شديدا وهي أطروحات يعرفها "سابير" نفسه حقّ المعرفة عيانا لا خبرا (راجع مقالته : "أصل اللّغة لهردر" (**) في "*فقه اللّغة الحديث*" (***)، المجلّد الخامس، 1907 - 1908). وإن كان أحد في ريب من تأثير ما يسمّى "innere Sprachform" المنسوب إلى "همبولدت" (وترجمة ذلك من جهة الصّوتميّة هي متصوّر "النّظام الدّاخليّ المثاليّ") فحسبه الإبانة عن هذه

(*) من ذلك مثلا أنه يمكنك الاستخبار عن مجيء شخص (وهذه هي الوظيفة) بطرق متعدّدة (وهذا هو الشّكل) فتستعمل حرف الاستفهام "هل" فتقول : "هل جاء ؟" أو تستعمل الاستفهام مع النّفي : "ألم يجئ" ؟ أو تقتصر على التّعبير عن الاستفهام بالتّنغيم : "جاء ؟".

(**) "Herder's Ursprung der Sprache" والعنوان الكامل لعمل "هردر" هو "Abhandlung über den Ursprung der Sprache"

(***) Modern Philology

العبارات التي تنجاب بها غشاوة الاسترابة كقوله : "إنّ الألسنة جميعها تبدي ميلا غريبا إلى تنمية مسلك أو مسالك نحويّة خاصّة على حساب مسالك أخرى ..."؛ أو كقوله : "لقد كانت توجد نزعة لصيقة بالإنقليزيّة عندما ظهرت صيغ من قبيل "geese" أي إوزّ"..." أو كقوله أيضا : "إنّ تفضيل الشّكل هذا من حيث هو شكل، وهو التّفضيل الذي أطلق له العنان في بعض المجالات المعدّة سلفا،..."، أو كقوله أخيرا : "لقد تبيّنا [...] أنّ لكلّ لسان نظاما صوتيّا داخليّا ذا أهميّة معلومة. ونحن نقف السّاعة على أنّ له أيضا ميلا جليّا إلى نظام الشّكل النحويّ. فهاتان النّزعتان إلى شكل محدّد، وهما نزعتان مبهمتان لكنّهما قويّتان، يطلق لهما العنان، إلخ." (*اللّغة*، ص60 - 61). إنّ الاختلال الابستيمولوجي بل عدم إيفاء العلاقة الوثيقة بين الشّكل والوظيفة حقّها في نطاق نظام لسانيّ هو أمر لا يصيب بناء "سابير" نفسه إصابة بالغة لأنّ متصوّر الوظيفة ما انفكّ حاضرا في ذهنه حضورا إجرائيّا. غير أنّ ‹فكر› "سابير" لمّا انضاف إلى بنيويّة "بلومفيلد" / قد ساهم في نشأة هذه اللّسانيّات الأمريكيّة عند الذين خلفوا هذين الرّجلين (لأنّ من شأن الخلف دائما أن يحيل الفكر اللّيّن المرن فكرا قاسيا عصيّا)؛ وصورة هذه اللّسانيّات أنّها ازدادت عكوفا على وصف الأشكال أو البنى أو التّوزيعات فحسب، وهو وصف ظلّ مغاليا في التّقعّر فخرج على ذلك "تشومسكي" موقنا بأنّ كلّ الذي كان إنّما هو اللّسانيّات التي ولّى عهدها.

وقد كان لآراء "سابير" في شأن مسألة ثالثة أثر بالغ، ونقصد بذلك ميدان النّماذجيّة أي ترتيب الألسنة بمعزل عن العلاقات التّكوينيّة (انظر : *اللّغة*، الفصل السّادس : "نماذج البنية اللّغويّة"). ولا أحد يشكّ في أنّ صرفه عنايته إلى تحليل الصّيغ اللّغويّة على نحو ما كان قام به، لم يؤهّله بصورة خاصّة تأهيلا جيّدا لبحثه النّماذجيّ مثلما لم تهيّئه لذلك البيئة الفكريّة نفسها وهي بيئة اللّسانيّات الأمرنديّة التي كان يعمل في إطارها. ذلك أنّ التّعدّد البنيويّ العجيب في الألسنة الموصوفة وصفا متدرّجا واستحالة جمعها في أسر نسيبة من النّاحية التكوينيّة استحالة تكاد تكون دائمة على غرار ما كان

أنجزه النّحو المقارن الهنديّ الأوروبيّ أو السّاميّ، كانا يضطرّان الباحثين إلى بناء مثال تبويب آخر. هذا زيادة على أنّ "تبويب باول" الذي أورثه إيّاهم أسلافهم لم يكن إلاّ تجميعا بني بناء فيه كثير من الإجمال على مقارنة قوائم معجميّة قصاراها أن "تبرز من النّسب ما هو أجلى للعيان" مثلما لاحظ ذلك "بوعز". والطّابع الأساسيّ في نماذجيّة "سابير"، وهو أيضا مزيّة من مزاياه، إنّما هو تعقّدها : فهو يدخل في الاعتبار طبيعة المتصوّرات التي يعبّر عنها لسان ما (المتصوّرات الملموسة، والاشتقاقيّة والعلائقيّة الملموسة والعلائقيّة المحض)، ودرجة التّعقّد التي يجوز أو يمتنع حصولها في تكوّن الكلمات ودرجة التّقنية الصّيغميّة إلخ. ولعلّ أهمّيّة هذا البناء (الذي يتضمّن ثانية أو يحتوي على ألسنة من النّموذج العازل والضّعيف التّأليف والتّأليفيّ / والشّديد التّأليف، وألسنة التصاقيّة وألسنة من النّماذج الإعرابيّة (*) المتنوّعة وألسنة رمزية وألسنة إعرابيّة (**)) تكمن في الطّريق الذي عبّده للبحوث النّماذجيّة أكثر ممّا تكمن في البناء نفسه، وهو بناء فضل جميع ما سواه على ذلك العهد فضلا عظيما. فإنّ الرّجل يضرب صفحا عن قديم التّبويبات المفرطة في التّبسيط والمؤسّسة على مقياس واحد صيغميّ في الغالب، وهو فوق ذلك مقياس يستند إلى مركزيّة عرقيّة (***)، ويقترح لترتيب الألسنة لوحة بيانيّة متعدّدة الموالج.

ويبرهن على قيمة محاولة "سابير" برهانا كافيا قلّة خصومها بعد نصف قرن. فمصنّف "مايّي" و "كوهين" : *"الألسنة في العالم"* في طبعته الأولى (1924) وطبعته الثانيّة (1952) يقوم أساسا على تبويب تكوينيّ كلّما كان ذلك ممكنا. واقتصر "غرينبرغ" على اعتماد ‹نماذجيّة› "سابير" دون زيادة أو نقصان. ولم يقدّم "بنفينيست" في مصنّفه *"محاولات في اللّسانيّات*

(*) de types flexionnels

(**) Langues fusionnantes ؛ ويلاحظ أنّ هذه التسمية الفرنسيّة تكاد تكون مرادفة للتسمية السّابقة "Langues flexionnelles"

(***) Critère... ethnocentrique

العامّة" (ص 99-118) سوى نظرة إجماليّة حول الموضوع ركّز فيها التّحليل على "تروبتسكوي" في خصوص النّماذجيّة الصّوتميّة وعلى "سابير" فيما عدا ذلك. وتقدّم أعظم المحاولات النّظريّة خطرا وأكثرها اكتمالا في هذا الميدان، أعني محاولة "مارتيناي" (انظر الفصل الثّالث من مصنّف *"اللّسان والوظيفة"* ص83-124) على أنّها تجاوز ولكنّه تجاوز قائم بأسره على استيعاب واف لعلم الأستاذ الأمريكيّ" وأستاذ "براغ" على حدّ سواء، وفيها يمتزج الجدل النّقديّ امتزاجا وثيقا بالثّناء على "نماذجيّة "سابير" المنشورة سنة 1920 على وجه التّقريب [وهي نماذجيّة] حريّة بإعجابنا وينبغي اعتبارها الآن أيضا [بين سنتي 1961 و 1969] الأساس المرجعيّ لكلّ محاولة في النّماذجيّة" (*المصنّف المذكور*، ص 84).

وقد أعدّ "سابير" أيضا شرحا عامّا لتطوّر الألسنة أكثر مرونة من شرح النّحاة الجدد في خصوص القوانين الصّوتيّة، غير أنّه موسوم على وجه خاصّ بصياغة نفسانيّة تقوم على الحدس والملاحظات الصّائبة : فنقرأ في هذا الشّأن / الشّرح المطوّل الذي خصّصه لما يرجّح أن يؤول إليه أمر كلمة "whom" ومعناها "من" في حالة الاستفهام "والذي" في حالة اسم الموصول لغير العاقل"، في الإنقليزيّة (*اللّغة*، ص، 153-167). وههنا أيضا نحسب أنّا ندرك تأثيرا بعيدا من "همبولدت" وتلميذه "شتاينتال" ومن إيمانهما بخصائص الذّهن البشريّ المقرّرة سلفا على نحو ملغز. فبدل النّظر في دور ضغط نظام اللّسان على تطوّر هذا اللّسان، وهذا الضّغط هو العامل الدّاخليّ في التّطوّر، فإنّ "سابير" يتحدّث عن محيد لساني (*)(drift) بمصطلحات ليس فيها ما يخالف وجه الصّواب، غير أنّ جميع ما فيها يتلوّن بضرب من الماورائيّة، فقد كتب يقول : " إنّ التّطوّر اللّغويّ يسلك اتّجاها محدّدا، أعني أنّ التّغيّرات الفرديّة التي تكوّنه أو تحمله هي التّغيّرات التي تتحرّك في اتّجاه دقيق دون سواها، تماما مثلما أنّ الأمواج المتقدّمة في جون (**) إلى جهة ما هي

(*) Dérive linguistique

(**) الجون : الخليج الصغير.

وحدها التي تشير إلى المدّ أو الجزر. وإنّ تطوّر لسان ما إنّما هو مكوّن من انتقاء لاواع للتّغيّرات الفرديّة التي تنزع جميعا إلى نقطة معلومة. وهذا الانتقاء يقوم به النّاطقون بذاك اللّسان بصورة لا إراديّة. والاتّجاه الذي يسلكه التطوّر يمكن أن يستخلص بوجه عامّ من التّاريخ الماضي للّسان" (*اللّغة*، ص 152).

وقد بعث أثر "سابير" بعد وفاة صاحبه بعثا جديدا في الصّيغة التي منحتها إيّاه "فرضيّة وورف" وذلك في خصوص مسألة أخيرة من هذه المسائل والمقصود بها نظريّة طالما أقام عليها "وورف" الحجج والبراهين (انظر *"لسانيّات وأنثروبولوجيا"*، طبعة دينوئيل، 1969، الطّبعة الأمريكيّة الأولى : سنة 1956). فكلّ لسان حسب هذه النّظريّة يكشف عن تحليل للعالم يختصّ به كلّ الاختصاص ويفرض على المتكلّم طريقة في رؤية العالم وتأويله، وهذه الطّريقة موشور حقيقيّ يجبر المتكلّم من خلاله على رؤية ما يراه. ويبدو أنّ "وورف" لم يدر أنّ هذه الأطروحات هي التي كان يقدّمها "همبولدت" قبل ما يربو على المائة عام. وقد وقفنا أعلاه على أنّ "ويتناي" بمعرفته للألسنة الأمرنديّة، على ما عليه هذه المعرفة من سطحيّة، كان قد انتهى إلى إحياء هذه الآراء رغم مقته للماورائيّة الألمانيّة. / بيد أنّ الذي كان عونا في تناقل هذه الآراء في القارّة الأمريكيّة إنّما هو "بوعز" أساسا. وكان هذا الرّجل يؤكّد أيّما تأكيد في مقدّمة مصنّفه *"الوجيز..."* ضرورة المراعاة الدّائمة "للشكل الدّاخليّ" لكلّ لسان في عمليّات الوصف (بدل نسخ هذا الوصف على مثال اللاّتينيّة أو الإنقليزيّة) ويؤكّد ضرورة الاعتبار الدّائم للتّلازم الوثيق القائم بين اللّسان والثّقافة (*المصنّف المذكور*، ص 81).

والطّريف في ذلك أنّ بوعز كان جعل لهذا التّلازم حدّا على نحو مسبّق إذ يقول : "غير أنّه لا يبدو من الرّاجح وجود علاقة مباشرة بين لسان قبيلة وثقافتها إلاّ عندما يكيّف وضع الثّقافة شكل اللّسان، ولكنّ حصول هذه العلاقة المباشرة متعذّر في الحالة التي قد تحدّد فيها مثل هذه الثّقافة بسمات للّسان الشّكليّة" (*في الموضع نفسه*. ص 67). أمّا "وورف" فقد خرج في

ذلك فوق "بوعز"؛ ولكنّ "سابير" نفسه، قارئ "همبولدت" الأريب، وهو يردّد تنبيه أستاذه "بوعز" في صورة من اللّين واللّطف، تجاوز الحدّ حين رأى أنّ "اللّغة مرشد إلى "الواقع الاجتماعيّ". ورغم أنّها لا تتصوّر عادة للمختصّين في العلوم الاجتماعيّة مثلما يتصوّر لهم أمر عظيم الخطر فإنّها تكيّف في الواقع تفكيرنا في المشاكل والسّيرورات الاجتماعيّة تكييفا شديدا؛ فإنّ البشر لا يعيشون في العالم الموضوعيّ ولا في عالم النّشاط الاجتماعيّ بالمعنى العادي في هذا التعبير فحسب وإنّما هم خاضعون *إلى* حدّ بعيد لمقتضيات لسان قومهم الذي هو وسيلة التّعبير في مجتمعهم. وإنّه لمن الغلط الفاحش الظّنّ بأنّنا - في جوهر الأمر - نتّصل بالواقع دون رفد من اللّغة وأنّ هذه اللّغة ليست سوى أداة ذات أهمّيّة ثانويّة إجمالا، تتيح لنا حلّ مشاكل التّواصل أو التّفكير النّوعيّة. والحقيقة أنّ "العالم الواقعيّ" مؤسّس *في جانب كبير* منه تأسيسا لاواعيا على العادات اللّغويّة التي اعتادتها المجموعة. فلا يوجد لسانان متشابهان تشابها كافيا / فنعتبرهما ممثّلين للواقع الاجتماعيّ نفسه. والعوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة هي عوالم متميّزة وليست فقط العالم نفسه بأسماء مختلفة [...]. وإن كنّا نرى ونفهم، وإن كنّا بشكل أعمّ، ندرك على النّحو الذي نرى به ونفهم به وندرك به فذلك راجع *في جانب كبير* منه إلى أنّ العادات اللّغويّة عند مجموعتنا ترجّح بعض الاختيارات في التّأويل" (*"لسانيّات"*، ص 134-135 ؛ وقد استشهد "وورف" بهذه القطعة، راجع *"لسانيات وأنثروبولوجيا"*، ص 69).

ويكثر "سابير"، مع ذلك، في مصنّف *"اللّغة"* (ص 209 - 215) من إيراد أمثلة غياب التّلازم بين العرق واللّسان والعادات (أو الثقافة) (انظر أيضا *"لسانيّات"*، ص 56). ومن الممكن أن نرى اليوم أنّ الصّياغات المغالية التي عبّر بها "همبولدت" و "وورف" وحتّى "سابير" عن فرضيّتهم قد عرقل إلى هذا الحدّ استقصاء هذه المسائل استقصاء علميّا، ولعلّها أقلّ عددا ممّا قيل ولكنّها مسائل حقيقيّة فيها تكيّف اللّغة - في زمن معلوم - طريقة رؤية العالم.

ولا نكون أوفينا حقّ أدنى ما يجب قوله في التّنبيه تنبيها ملائما إلى قراءة ما كتبه "سابير"، وهي قراءة تظلّ ضروريّة، إن نحن لم نضف إلى ذلك أنّه قدّم في عصره ذاك تحليلات تنمّ عن شدّة بصر بالأمور وهي تتّصل بالانتقال من لا إيصاليّة (*) التجربة الفرديّة في كلّيّتها إلى التّواصل الاجتماعي (*اللّغة*، ص 16). ورغم أنّ ثقافته الانثروبولوجيّة تميل به ميلا لا ينقطع إلى عبارات ذات منزع بسيكولوجيّ وإحالات على اللاّوعي قد تزعجنا اليوم، فإنّ تعريفه للّغة هو تعريف سوسيولوجيّ متين. فاللّغة عنده محصّل من محصّلات الثقافة وليست وظيفة بيولوجيّة. فقد كتب يقول : "إنّ الكلام موروث تاريخيّ محض ترثه المجموعة، وهو محصّل استعمال اجتماعيّ عريق في الزّمن" (في *الموضع نفسه*، ص8). ويقول أيضا : "اللّغة وسيلة إبلاغ / بشريّة محض ليست بالغريزيّة تصلح لإبلاغ الفكر والعواطف والرّغبات بواسطة نظام من الرّموز المستنبطة عن دراية" (في الموضع نفسه، ص 12). ومن اللاّفت للنّظر أنّه يؤكّد أيضا، على غرار "ويتناي" و"سوسّير"، وجوب حفظ الخاصّيّة المخصوصة باللّغة. ويرى أنّ "تعريف اللّغة تعريفا على جانب من الضّبابيّة لفهم جميع ضروب الاستنتاجات [التي يمكن استخلاصها من القرائن المشاهدة بالعيان] يصبح أمرا خاليا من المعني خلوّا مطلقا" (في *الموضع نفسه* ص 9). ولا تحول هذه النّظرة السّوسيولوجيّة إلى اللّغة دون استمراره على الاهتمام بما يبذله الإنسان من جهد لإبلاغ المعيش الشّخصيّ الأكثر استعصاء على التبليغ باستعمال اللّغة استعمالا أدبيّا أو إنشائيّا. فيبلغ اهتمام "سابير" بذلك مبلغا يفوق فيه "كروتشي" فهما ودراية. وإنّ تعريفه لهذا الاستعمال الذي خصّص له الفصل الحادي عشر من كتابه لهو على جانب كبير من البساطة، فقد كتب يقول : "عندما يتّخذ التّمثيل [الرّمزيّ لفكرنا، هذا الذي هو اللّغة] صيغة تعبيريّة أكثر لطافة من المعتاد فإنّا نسمّيه أدبا." ويضيف في الحاشية قوله : "لا يمكنني الاسترسال في تعريف *الصّيغة التّعبيريّة الأكثر لطافة* الجديرة بأن تسمّى أدبا أو فنّا والتي يخفى عنّي أمرها كلّما اشتدّت لطافتها، فينبغي

(*) Incommunicabilité

علينا التّسليم تسليما *ما قبليّا* بكلمة الأدب هذه" (*المصنّف المذكور* ص216).ولنحترز من فهم هذه التّصريحات على نحو ما ينطق به لفظها : فلكي ندرك أهليّته لدراسة استعمال اللّغة استعمالا إنشائيّا سنة 1921، حسبنا أن نعيد قراءة ما يقوله في علائق اللّغة بالعاطفة (*في الموضع نفسه* ص 40) أو أن نعيد قراءة تحليله لما نسمّيه اليوم إيحاءات كلمات "storm" أي "عاصفة" و "hurricane" أي "زوبعة" و "tempest" أي "نوء" إلى قارئ إنقليزيّ مثقّف (*في الموضع نفسه* ص 41-42). وهو تحليل على جانب من الرّوعة.

لقد كان تأثير" "سابير" في اللّسانيّات الأمريكيّة تأثيرا عظيما لا سبيل إلى قياسه بتأثير "بلومفيلد" إبّان حياتهما. وقد تعارف الرّجلان وأجلّ أحدهما الآخر بلا ريب غير أنّ الكلام في الصّداقة التي كانت تجمعهما ينبغي أن يكون من شأن أدب البيانات الموجزة المكتوبة بعد الوفاة وهو الأدب القائم على التّوقير والتّبجيل. ولا شكّ أنّ مجلّة *[اللّغة]* التي لم تكن / وقفا على "بلومفيلد"، لا سيّما في أوّل عهدها، قد نشرت منذ صدور مجلّدها الأوّل مقالة : "مناويل الأصوات في اللّغة"، ثمّ مقالات أخرى ذات بال كتبها "سابير". على أنّه ربّما لم يكن من العسير بيان جميع المواضع التي يقصد فيها "سابير" "بلومفيلد" رأسا عندما يساجل الوصفيّة اللاّذهنيّة؛ والعكس صحيح عندما يعيب "بلومفيلد" الذّهنيّة ويتنقّصها. ص96

ثبت المصطلحات

- أ -

1	alphabet phonétique	أبجديّة صوتيّة
2	l'athabaskan	الأتاباسكان
3	l'amérindien	الأمرنديّة
4	étymologie	تأثيل
5	historicisme	تاريخانيّة
6	famille (linguistique)	أسرة (لغويّة)
7	radical (n.)	أصل
8	synthétique (langue)	تأليفيّ (لسان)
9	indigène (locuteur)	أهليّ (متكلّم)
10	mécanique (adj)	آلانيّ
11	automatique	آليّ
12	mécaniste	إواليّ
13	mécanisme	إواليّة
14	interprétation	تأويل
15	herméneutique	تأويليّة
16	maternelle; première (langue)	أوّل (لسان)
17	primaire (fonction)	أوّليّة (وظيفة)
18	synchronique	آنيّ
19	synchronie	آنيّة
20	ibère (langue)	إيبيريّ (لسان)

- ب -

21	le païute	البايوت
22	variante combinatoire	بديل تعامليّ

23	variante libre	بديل مطلق	23
24	neutralisation	إبطال	24
25	communication (n.a)	إبلاغ	25
26	structure	بنية (بنى)	26
27	substrat	بنية سفلى	27
28	structural	بنيويّ	28
29	structuralisme	بنيويّة	29
30	classe	باب	30
31	classification	تبويب	31
32	affriquée (n.)	بين الشدّة والرّخاوة (صامت)	32
	- ت -		
33	le takelma	التاكلما	33
34	le tlingit	التلنجيت	34
	- ث -		
35	dichotomie; dualité	ثنائيّة	35
	- ج -		
36	paradigme	جدول	36
37	paradigmatique	جدوليّ	37
38	sonorité (du mot)	جرسيّة (الكلمة)	38
39	procédure	إجراء	39
40	opératoire	إجرائيّ	40
41	fonctionner	جرى	41
42	fonctionnement	مجرى	42

43	social	اجتماعيّ	43
44	communauté (linguistique)	مجموعة (لغويّة)	44
45	phrase - noyau	جملة نواة	45
46	moindre effort	مجهود أدنى	46
47	appareil vocal	جهاز النّطق	47
48	substance	جوهر	48
	- ح -		
49	définition (sub.)	حدّ	49
50	caractère; lettre	حرف	50
51	dynamique (adj)	حركيّ	51
52	statistique (n.)	إحصائيّة	52
53	in praesentia (groupes)	حضوريّة (مجموعات)	53
54	contact des langues	احتكاك الألسنة	54
55	fricative (n.)	احتكاكي (صامت)	55
56	analytique (structure)	تحليليّة (بنية)	56
57	transformationnel	تحويليّ	57
58	contenu	محتوى	58
59	paléontologie linguistique	إحاثيّة لسانيّة	59
	- خ -		
60	empirique	اختباريّ	60
61	empirisme	اختباريّة	61
62	informateur	مخبر	62
63	linéaire	خطّيّ	63
64	différentiel	تخالفيّ	64

		- د -	
65	signifiant; significateur	دالّ	65
66	sémantique (n.)	دلاليّة	66
67	signifié	مدلول	67
		- ذ -	
68	atomiste	ذرّانيّ	68
69	pragmatisme	ذرائعيّة	69
70	mentalisme	ذهنيّة	70
		- ر -	
71	associatifs (goupements)	ترابطية (تجمّعات)	71
72	spirante (n.)	رخو (صامت)	72
73	impression	ارتسام	73
74	schéma	ترسيمة	74
75	transcription orthographique	رسم الحروف	75
76	syntaxe	تركيب	76
77	syntaxique	تركيبيّ	77
78	sigle ; symbole	رمز	78
79	symbolisme sonore	رمزيّة جرسيّة	79
80	romane (linguistique)	رومنيّة (لسانيّات)	80
		- ز -	
81	diachronique (adj)	زمانيّ	81
82	diachroniste (n.)	زمانيّ (زمانيّون)	82
83	diachronie	زمانيّة	83

84	bilinguisme	ازدواج اللّسان	84
85	affixation	زيادة	85
	- س -		
86	sémitique (adj)	ساميّ	86
87	lapsus linguae	سبق لسان	87
88	homogène	منسجم	88
89	statique (adj)	سكونيّ	89
90	stylistique (n.)	أسلوبية	90
91	procédé	مسلك	91
92	auditeur	سامع	92
93	acoustique (adj)	سمعيّ	93
94	acoustique (n.)	سمعيّات	94
95	le sanskrit	السّنسكريتيّة	95
96	processus	سيرورة	96
	- ش -		
97	occlusive (n.)	شديد (صامت)	97
98	polysynthétique (langue)	شديد التأليف (لسان)	98
99	polysémique (mot)	مشترك (لفظ)	99
100	dérivationnel	اشتقاقيّ	100
101	forme	شكل	101
102	formaliste	شكلانيّ	102
103	formel	شكليّ	103

- ص -

104	morphonologie	104	صرفميّة
105	slaves (langues)	105	صقلبيّة (ألسنة)
106	conventionnel	106	اصطلاحيّ
107	terme	107	مصطلح
108	terminologique	108	مصطلحيّ
109	terminologie	109	مصطلحيّة
110	consonne	110	صامت
111	artificielle (langue)	111	اصطناعيّ (لسان)
112	phonique	112	تصويتيّ
113	voyelle	113	صائت
114	son	114	صوت
115	phonème	115	صوتم
116	phonologique	116	صوتميّ
117	phonologie	117	صوتميّة
118	phonétique (adj.)	118	صوتيّ
119	phonétique (n.)	119	صوتيّات
120	physiophonétique	120	صوتيّات عضويّة
121	psychophonétique	121	صوتيّات نفسيّة
122	conception	122	تصوّر
123	concept	123	متصوّر
124	forme	124	صيغة
125	morphologique	125	صيغميّ
126	morphologie	126	صيغميّة

		- ض -	
127	gémination	تضعيف	127
128	pronom personnel	ضمير عينيّ	128
129	génitif absolu	مضاف إليه مطلق	129
		- ط -	
130	vélarisation	إطباق	130
131	italiques (n.)	طليانيّة (حروف)	131
		- ظ -	
132	fait (linguistique)	ظاهرة (لغويّة)	132
133	l'aspect	المظهر	133
		- ع -	
134	expressif	تعبيري	134
135	arbitraire (n.)	اعتباط	135
136	arbitraire (adj)	اعتباطي	136
137	lexique, vocabulaire	معجم	137
138	asymétrie	عدم تناظر	138
139	flexionnelle, fusionnante (langue)	إعرابيّ (لسان)	139
140	définition (n.a)	تعريف	140
141	isolante (langue)	عازل (لسان)	141
142	intelligible	معقول	142
143	relationnel	علائقي	143
144	ethonologue ; ethnologiste	عالم أجناس	144
145	archéologie	علم الحفريّات	145

146	syntaxe	علم التّركيب	146
147	anthropophonie	علم التصويت البشريّ	147
148	signe	علامة	148
149	sémiologique	علاميّ	149
150	sémiologie	علاميّة	150
151	combinatoire	تعامليّ	151

- غ -

152	in absentia (groupements)	غيابيّة (تجمّعات)	152
153	changement / variation	تغيّر / تغيير	153
154	analphabétique	غير أبجدي	154
155	variable	متغيّر	155

- ف -

156	hypothèse	فرضيّة	156
157	contrastif	تفارقي	157
158	divergent	مفترق	158
159	exégèse	تفسير	159
160	discret	متفاصل	160
161	philologie	فقه اللّغة	161
162	le finno - ougrien	الفنلندية الأوغريّة	162
163	intercompréhension	تفاهم	163
164	notion	مفهوم	164
165	pertinence	إفادة	165
166	pertinent	مفيد	166
167	polyglottal	في ألسنة متعدّدة	167

168	monoglottal	في لسان واحد	168

- ق -

169	dictionnaire	قاموس	169
170	opposition	تقابل / مقابلة	170
171	oppositif	تقابليّ	171
172	parenté	قرابة	172
173	emprunt	اقتراض	173
174	indice	قرينة	174
175	association mentale	اقتران ذهنيّ	175
176	comparative (étude)	مقارنيّة (دراسة)	176
177	brève (voyelle)	قصير (صائت)	177
178	abrègement	اقتضاب	178
179	articulation	تقطيع	179
180	régularisation	تقعيد	180
181	règle	قاعدة	181
182	anagramme	قلب ترتيبيّ	182
183	catégorie	مقولة	183
184	analogie	قياس	184
185	régulier	قياسيّ	185

- ك -

186	écriture ; notation	كتابة	186
187	transcription phonétique	كتابة صوتية	187
188	redoublement	تكرار	188
189	universaux	كلّيّات	189

190	parole	كلام	190
191	mot	كلمة	191
192	locuteur ; sujet parlant	متكلّم	192
193	formation des mots	تكوّن الكلمات	193
194	génétique (adj)	تكويني	194
195	universaliste	كونويّ	195
196	organisme	كيان عضويّ	196
197	conditionnement	تكييف	197
198	conditionné	مكيّف	198

- ل -

199	incommunicabilité	لا إيصاليّة	199
200	irréductibles (unités)	لا تقبل مزيد التّجزئة (وحدات)	200
201	antimentaliste	لا ذهنيّ	201
202	corrélation	تلازم	202
203	corrélatif	متلازم	203
204	langue	لسان	204
205	langue auxiliaire	لسان مساعد	205
206	linguiste (n.)	لسانيّ	206
207	linguistique (adj)	لسانيّ	207
208	linguistique (n.)	لسانيّات	208
209	agglutinante (langue)	التصاقيّ (لسان)	209
210	bruit de la parole	لغط الكلام	210
211	langage	لغة	211
212	linguistique	لغويّ	212
213	mot	لفظ	213

214	enoncé minimal	ملفوظ أدنى	214
215	syncrétisme	تلفيقيّة	215
216	dialecte, parler (n.)	لهجة	216
217	patois	لهجة ريفيّة	217
	- م -		
218	représentation	تمثيل	218
219	pantomime	تمثيل إشاريّ	219
220	modèle	مثال (مثل)	220
221	substance	مادّة	221
223	distinctive (fonction)	تمييزيّة (وظيفة)	223
	- ن -		
224	accent tonique	نبرتنغيمي	224
225	réalisation	إنجاز	225
226	composition	نحت	226
227	Néogrammairiens	نحاة جدد	227
228	comparatisme; grammaire comparée	نحو مقارن	228
289	correspondance	تناسب	289
230	correspondant	متناسب	230
231	apparentement	نسب	231
232	apparenté	نسيب	232
233	cohérent	متناسق	233
234	ordre	نسق	234
235	syntagmatique	نسقيّ	235
236	poétique	إنشائي	236

237	parlé
238	prononciation
239	articulatoire (phonétique)
240	symétrique
241	analogue
242	système
243	systématique (schéma)
244	psychologiste
245	psychologisme
246	psychique
247	transmission
248	transposition
249	éclectisme
250	typologique
251	typologie
252	type
253	méthodologique
254	méthode
255	systématique
256	alternance
257	alternance vocalique
258	alternance consonantique
259	le nootka
260	variation
261	noyau prédicatif

237	منطوق
238	نطق
239	نطقيّة (صوتيّات)
240	متناظر
241	نظير
242	نظام
243	نظاميّة (ترسيمة)
244	نفسانيّ
245	نفسانيّة
246	نفسي
247	تناقل
248	نقل
249	انتقائيّة
250	نماذجيّ
251	نماذجيّة
252	نموذج
253	منهاجيّ
254	منهج
255	منهجيّ
256	تناوب
257	تناوب الصّوائت
258	تناوب الصّوامت
259	النّوتكا
260	تنوّع / تنويع
261	نواة إسناديّة

	- هـ -		
262	aspiré	هائيّ	262
263	archaïque (=vieux)	مهجور	263
264	sourd	مهموس	264
265	l'indo - européen	الهنديّة الأوروبيّة	265
	- و -		
266	connotation	إيحاء	266
267	procédure	توسّل	267
268	trait	سمة	268
267	descriptivisme	وصفيّة	267
268	communication (sub.)	تواصل	268
269	le positivisme	الوضعيّة	269
270	fonctionnel	وظيفيّ	270
271	position	موقع	271
272	situation	موقف	272
273	génératif	توليديّ	273
274	geste	إيماءة (إيماءات)	27
	- ي -		
175	le yana	اليانا	27

أسماء الأعلام الأعجميّة منقولة إلى الحروف العربيّة

1	Adler (Alfred)	أدلر (ألفريد)	1
2	Ernout	إرنو	2
3	Ovidio (Francesco d')	أفيديو (فرانشيسكو دي)	3
4	Althusser (Louis)	ألتوسير (لويس)	4
5	Engler (Rudolf)	إنغلر (رودلف)	5
6	Echave - Sustaeta	إيشاف - سوستاتا	6
7	Ivič (Milka)	إيفيتش (ميلكا)	7
8	Pariente (Jean - claude) [éd]	باريانت (جان - كلود) [ناشر]	8
9	Passy (Paul)	باسّي (بول)	9
10	Bachelard (Gaston)	باشلار (غاستون)	10
11	Bally (charles)	بالّي (شارل)	11
12	Panduro (Hervas y)	باندورو (هرفاس إ)	12
13	Powell (le major)	باول (النّاظر)	13
14	Pike (Kenneth L.)	بايك (كنّث ل.)	14
15	Bredsdorff	برادسدورف	15
16	Brütsch	بروتش	16
17	Bröndal (Viggo)	بروندال (فيغّو)	17
18	Bréal (Michel)	بريّال (ميشال)	18
19	Bloomfield (Léonard)	بلومفيلد (ليونار)	19
20	Benveniste (Emile)	بنفينيست (إميل)	20
21	Bopp (Franz)	بوب (فرانتز)	21
22	Posner (Rebecca)	بوسنر (ريبيكا)	22
23	Bouchardy	بوشاردي	23
24	Boas (Franz)	بوعز (فرانتز)	24
25	Boltanski	بولتنسكي	25
26	Bolelli (Tristano)	بولالّي (تريستانو)	26

27	Peirce (Charles Sanders)
28	Pictet (Adolphe)
29	Tarde (Gabriel De)
30	Tesnière (Lucien)
31	Terracini
32	Troubetzkoy (Nicolas Sergueevitch)
33	Chomsky (Noam)
34	Thomsen (Vilhelm)
35	Thévet (le père)
36	Jakobson (Roman)
37	Jolly (Von Julius)
38	Hagège (Claude) [éd]
39	Darmesteter (Arsène)
40	Dalimier (M)
41	Durkheim (Emile)
42	Doroszewski (W)
43	Devoto (Giacomo)
44	Dégallier
45	Descartes (René)
46	De Mauro (Tullio)
47	Rapp.
48	Rask (Ramus christian)
50	Robins (Robert Henry)
51	Rousselot (l'abbé)
52	Ruwet (Nicolas)
53	Riedlinger
54	Regard

27	بيرس (تشارلز ساندرز)
28	بيكتيت (أدولف)
29	تارد (جبرائل دو)
30	تاسنيار (لوسيان)
31	تراتشيني
32	تروبتسكوي (نقولا سرغيفيتش)
33	تشومسكي (نعوم)
34	تومسن (فلهلم)
35	تيفي (الأب)
36	جاكبسن (رومان)
37	جلّي (فون يوليوس)
38	حجاج (كلود) [ناشر]
39	دارمستيتر (أرسان)
40	داليمياي (م)
41	دوركايم (إميل)
42	دوروسفسكي (ف)
43	دوفوتو (جياكومو)
44	ديغاليي
45	ديكارت (ريني)
46	دي مورو (توليو)
47	راب
48	راسك (راموس كريستيان)
50	روبنز(روبرت هنري)
51	روسلو (القسيس)
52	رويت (نيقولا)
53	ريدلنجر
54	ريغار

55	Sapir (Edward)	55	سابير (إدوارد)
56	Starobinski	56	ستاروبنسكي
57	Slušareva	57	سلوشاريفا
58	Smith (Adam)	58	سميث (آدم)
59	Swadesh (Morris)	59	سوادش (موريّس)
60	Saussure (Ferdinand de)	60	سوسّير (فردينان دي)
61	Sauvageot (Aurélien)	61	سوفاجو (أورليان)
62	Soulé - Susbielles	62	سولاي - سوسبيال
63	Sommerfelt	63	سومّرفلت
64	Sweet (Henry)	64	سويت (هنري)
65	Sievers (Edward)	65	سيفرس (إدوارد)
66	Steinthal (Heymann)	66	شتاينتال (هايمان)
67	Schleicher (August)	67	شليشر (أغسطس)
68	Chantraine	68	شنتران
69	Schuchardt (Hugo)	69	شوشارد (هيغو)
70	Schogt (Henry)	70	شوغت (هنري)
71	Ščerba (L.V.)	71	شيربا (ل.ف)
72	Scherer (Wilhelm)	72	شيرر (فلهلم)
73	Gabelentz (Georg von der)	73	غابلنتز (جورج فون در)
74	Gardiner (Alain Henderson)	74	غاردينر (آلان هندرسن)
75	Grammont (Maurice)	75	غرامّون (موريس)
76	Graur	76	غرور
77	Greenberg (Joseph H.)	77	غرينبرغ (يوسف هـ.)
78	Gautier	78	غوتيي
79	Gauthiot	79	غوثيو
80	Godel (Robert)	80	غوديل (روبير)
81	Gueroult (Martial)	81	غورو (مارسيال)

82	Guillemin (S. - M.)	غيمان (س - م)	82
83	Guillaume (Gustave)	غيوم (غوستاف)	83
84	Vasmer	فاسمار	84
85	Wald	فالد	85
86	Freud (Sigmund)	فرويد (سيغموند)	86
87	Vendryes (Joseph)	فندرياس (يوسف)	87
88	Vossler	فوسلر	88
89	Foucault (Michel)	فوكو (ميشال)	89
90	Wundt (Wilhelm)	فوند (فلهلم)	90
91	Wijk (Van)	فيجك (فان)	91
92	Firth (John Rupert)	فيرث (جون روبرت)	92
93	Finck (Franz Nikolaus)	فينك (فرانتز نيقولوس)	93
94	Constantin	قسطنطين	94
95	Canguilhem (Georges)	كانغيلم (جورج)	95
96	Caille	كاي	96
97	Croce (Benedetto)	كروتشي (بينيدتّو)	97
98	Kruszewski	كروسفسكي	98
99	Courtenay (Jan Ignacy Baudouin de)	كورتناي (جان إينياسي بودوان دي)	99
100	Kuryłowicz (Jerzy)	كوريلوفكز (جرزي)	100
101	Cohen (Marcel)	كوهين (مارسال)	101
102	Koyré (Alexandre)	كويري (الإسكندر)	102
103	Lepschy (Giulio Cesare)	لابسكي (يوليوس قيصر)	103
104	Leskien	لسكين	104
105	Lejeune (Michel)	لوجون (ميشال)	105
106	Leroy (Maurice)	لوروا (موريس)	106
107	Léopold	ليوبولد	107
108	Marr (Nikolai Iakovlevitch)	مارّ (نيقولاي أيكوفليفتش)	108

109	Marty (Anton)	مارتي (أنطون)	109
110	Martinet (André)	مارتيناي (أندري)	110
111	Marx (Karl)	ماركس (كارل)	111
112	Marouzeau (Jules)	ماروزو (جول)	112
113	Mal mberg (Bertil)	مالمبيرغ (برتيل)	113
114	Malinovski	مالينوفسكي	114
115	Mandelbaum (D.) [éd.]	ماندلبوم (د.) [ناشر]	115
116	Meillet (Antoine)	مايّي (أنطوان)	116
117	Mill (Stuart)	مل (ستيوارت)	117
118	Müller (Max)	مولّر (ماكس)	118
119	Molino (Jean)	مولينو (جان)	119
120	Mounin (Georges)	مونان (جورج)	120
121	Monzie (Anatole de)	مونزي (أناتول دي)	121
122	Noreen	نورين	122
123	Nyrop (Kristoffer)	نيروب (كريستوفر)	123
124	Humboldt (Alexandre)	همبولدت (الإسكندر)	124
125	Humboldt (Guillaume)	همبولدت (غيّوم)	125
126	Humboldt (Wilhelm von)	همبولدت (فلهلم فون)	126
127	Walras (Léon)	والرا (ليون)	127
128	Whorf (Benjamin Lee)	وورف (بنيامين لي)	128
129	Whitney (WilliamDwight)	ويتناي (ويليام دوايت)	129
130	Jespersen (Otto)	ياسبرسن (أتّو)	130
131	Hjelmslev (Louis)	يالمسلاف (لويس)	131
132	Iordan - Orr	يوردن - أور	132
133	Joseph	يوسف	133
134	Jung (Karl Gustave)	يونغ (كارل غوستاف)	134

المراجع المعتمدة في هذا البحث

* في اللّسان العربيّ :

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : "الحيوان" - تحقيق عبد السلام محمّد هارون - ط2 - 7ج، القاهرة 1965.

- سوسّير (فردينان دي) : "دروس في الألسنيّة العامّة" - تعريب الأساتذة : صالح القرمادي ومحمد الشّاوش ومحمد عجينة - الدّار العربية للكتاب، تونس 1985.

- المسدّي (عبد السّلام) : "قاموس اللّسانيّات" - الدّار العربيّة للكتاب تونس، 1984.

- "المنجد في اللّغة والأعلام" - ط29، دار المشرق، بيروت، 1987.

* في اللّسان الأعجميّ :

- "روبير الصّغير" (قاموس فرنسيّ) - نشر : "قواميس روبير" باريس، طبعة سنة 1989.

- "قاموس اللّسانيّات" بإشراف "جان دي بوا"، مكتبة لاروس، باريس، 1984.

- مونان (جورج) : "مشاكل نظريّة في الترجمة"، غاليمار، باريس 1990.

الفهرس العامّ

تقديم..... 1

الاختصارات والرّموز..... 8

قائمة العلامات الصّوتيّة..... 9

مدخل..... 10

الفصل الأول : "ويليام دوايت ويتناي"..... 17

الفصل الثاني "جان إينياسي بودوان دي كورتناي"..... 28

الفصل الثالث : "أنطوان مايّي"..... 40

الفصل الرّابع : "فرديناند دي سوسّير"..... 49

الفصل الخامس : "أتّو ياسبرسن"..... 70

الفصل السّادس : "إدوارد سابير"..... 83

ثبت المصطلحات..... 98

أسماء الأعلام الأعجميّة منقولة إلى الحروف العربيّة..... 111

مراجع البحث..... 116

الفهرس العامّ..... 117